Princeton University Library
32101 055381766

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

نظرة سريعة الى

حياة نبيّ الاسلام (ص)

تأليف: لجنة التحرير

المترجم: الشيخ محمد علي التسخيري

٥٦

Nazrah

نظرة سريعة الى

حياة نبيّ الاسلام

صلى الله عليه وآله وسلم

(RECAP)
BP75
.N3912

اسم الكتاب: نظرة سريعة إلى حياة النبيّ(ص)
المؤلّف: لجنة التحرير في طريق الحق
المترجم: الشّيخ محمّد علي التسخيري
رقم التسلسل: ٥٦
نوع الطّبع: الأوفست
عدد الصفحات: ٢٠٠
الطّبعة: الأولى
عدد النّسخ: ٥٠٠٠
المطبعة: سلمان الفارسي – قم
تاريخ النشر: شهر شعبان المعظّم ١٤٠٣
الناشر: مؤسّسة في طريق الحق
العنوان: ايران، قم، خيابان ارم، كوچهٔ آقازاده مؤسسة في طريق الحق
لكافّة المراسلات: ص. ب. ٥. قم. ايران
حقوق الطّبع محفوظة للناشر

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
02101 021837008

مقدمة

من جملة النّشرات التي صدرت عن مؤسسة «في طريق الحق» دورتان هما الثالثة والرابعة وتضمّان شرحا مختصراً لحياة نبّي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، و يتخلّل في الإثناء الجوابُ عَلَى الشبهات والتخرصات التي اطلقها اعداء الإسلام، وقد طُبعت هاتان الدورتان باللغة الفارسية عدة مرات وتم توزيعهما بين الشباب، ثم تُرجمتا اِلَى اللغة العربية وأُرسلتا الى الشباب المسلم خارج ايران عن طريق المراسلة، وقد لقيتا اقبالاً منقطع النظير.

وهذا الكتاب هو مجموع تلك الأعداد العشرين قد نُظّمت وطُبعت بهذا الشكل، كما نشرت المجموعة نفسها باللغة الفارسية تحت عنوان «نگرشی کوتاه به زندگي پيامبر اسلام صلى الله عليه وآله وسلم» اي «نظرة سريعة الىٰ حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم». نسأل اللّه تعالىٰ، ان يوفقنا لخدمة الاسلام وان يدعم الثورة الاسلامية في ايران التي انطلقت بقيادة الامام الخميني لتشمل العالم الاسلامي فيتقارب المسلمون و يتكاتفون لينهضوا في سبيل نشر الحقائق الاسلامية وتطبيق القيم الدينية فيحلّق الانسان في الآفاق الرفيعة للاسلام.

لجنة التحرير
مؤسسة في طريق الحق

العالم والعرب
قبل ظهور الإسلام

بسم الله الرّحمن الرّحيم

كان الناس في كل أنحاء العالم قبل أن تشع أنوار الرّسالة الإسلامية يعيشون وضعاً مؤسفا للغاية من الناحية العقائدية الفكر ية، وفي شؤونهم الفردية والاجتماعية.

ولئن كانت مناطق العالم تتفاوت في بعض الامور إلا أن القاسم المشترك بين افراد البشر ية أينما وجدوا آنذاك كان متمثلاً في الانحراف الفكري، التقاليد الاجتماعية البالية، سيطرة الخرافات والأساطير على العقول والاذهان، والمشاكل الاجتماعية والاخلاقية.

***

فقبل ظهور الاسلام كان اليهود قد غيروا الدين الذي جاءبه النبي موسى(ع) واظهروا أصوله بصورة جامدة متحجرة وافرغوها من محتواها الحقيقي واشاعوا الروح المادية في حياة الناس.

والمؤسف أن المسيحية التي كان النبي عيسى(ع) قد حمل رسالتها من قبل الله تعالى الى الناس لتهذيب الاخلاق وتطهير النفوس وتخليصها من السيطرة المادية البشعة... هذا الدين هوالاخر

وقع تحت تأثير رجال الكنيسة فغيروا من روحه واستغلوه لمنافعهم الشخصية وتحول الى سيف مصلت على رقاب الناس، اضف الى ذلك أن المسيحية بطبيعتها لم تكن حاوية للقوانين الكامله في تقرير الانظمة الاجتماعية المتعددة، وهكذا كانت النتيجة أن بقيت عاجزة عن قيادة البشرية المعذبة ونجاتها.

ومن هنا نعلم كيف كان الناس في شتى مناطقتهم— المتدين منهم وغير المتدين— شركاء في التقاليد المغلوطة وسيطرة الخرافات والاساطير والغرق في الاوهام والمشاكل المتنوعة.

فشعلة الفساد تستعر... الخرافات والاوهام تتحكم في مصير الناس باسم العقيدة والمذهب.

الشرك في العبادة، والتثليث في الالوهية حمل الاذعان به على الناس تحميلاً، الكثيرون توجهوا لعبادة الاصنام، النار، البقر والنجوم. والأنكى اوالأمرّ من هذه وتلك ، عبادة الشهوة والفروج والتي كان لها رواج حينذاك . إن هذا الفساد المستشري والانحطاط الاخلاقي والتدهور المعنوي الذي كان ناشراً ظلاله السوداء على كل بقعة من بقاع الارض كان سبباً وموجباً للتخبط والانحراف في المجتمع البشري، ولإراقة الدماء والظلم والعدوان وفي الواقع كانت البشرية على مشارف الهلاك والسقوط الابدي.

الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام

كان للجزيرة العربية— التي سميت بالارض المحروقة— وضع عجيب فالصحاري الجرداء القاحلة والوديان الجافة والتلال

الصخرية، هي كل ماتشكله هذه المنطقة التي كانت قليلة الماء وغير ذات زرع، حشائشها كانت عبارة عن الاشواك والحسك، وبيوتها كانت اكواخاً ضيقة يسكنها موجود يسمى بـ (الانسان) يعيش في اغلب الاحيان على التمر والماء الآسن ليسدّ رمقه.

الحروب والصراع القبلي كانت هي اساس النظام الاجتماعي لسكان شبه الجزيرة العربية، ولم تعد مدينة مكة المكرمة سوى معبد للاصنام، ولم يكن اغلب ساكنيها غير مجموعة من اهل المنافع وآكلي الربا الذين يمتصون دماء الآخرين لأجل الدرهم والدينار.

***

الحياة القبلية لسكان البادية العربية، واتخاذ الكثير حياة الرعي بالاضافة للاقطاع البغيض كل هذا كان مصدر عذاب شديد لهؤلاء السكان، الحالة الاقتصادية المتردية الناشئة من استغلال رؤساء القبائل والمرابين قدمحى مفهوم الحياة الإنسانية وحوّل جوّ السعادة الاجتماعية الى جو مظلم مشحون بالمآسي والآلام. لقد كانت مجموعة الأثرياء المرابين التي اتخذت من التجارة عملاً ومهنة في مكة المكرمة قد بدأت بجمع الاموال والثروات الطائلة من طرق غير مشروعة، واخذت باستغلال الطبقات الضعيفة الفقيرة استغلالاً بشعاً وكان هذا في الواقع معمقاً للتفاوت الظالم بين طبقات المجتمع الواحد.

وكانت القبائل العربية بسبب الجهل الذي كانت تعيشه آنذاك ، قد اتخذت من الاصنام والمظاهر الطبيعية معبودات لها

وحولت الكعبة الشريفة الى بيت للاصنام[١] لقد كانت أي عادة من العادات الخاطئة او أي تقليد من تقاليدهم وسنتهم البالية آنذاك، كافياً لوحده أن يحطم ويمحي عظمة أيّ امة؛ ان الوضع الذي اوجدته الانحرافات اللاانسانية في المجتمع العربي قبل الاسلام كان وضعاً ثمرته الفساد والتردي وغذاؤه لحم الانسان، وشعاره الخوف والقلق، ومنطقه ودليله السيف.

وكان العرب يحسبون و يتخيلون أن الافضلية والرفعة هي للعربي والعربي فقط دون غيره من الناس، و إن للدم العربي والعنصر العربي ميزة تجعله أعلى شأناً من الآخرين وهكذا ترى أن جذور القومية والعنصريّة المتفشية في عصرنا هذا ترجع الى تلك الجاهلية الاولى التي شكلتها بلونها الخاص، وحتى بين العرب انفسهم؛ كان التفاضل موجوداً على اسس خاوية موهومة كزيادة الولدوكثرة المال وبها كانت القبيلة تفتخر على اختها، والانسان على اخيه.

كانوا يعدّون القتل وسفك الدماء شجاعة و بطولة، وكان السطو والاغارة الوحشية والعدوان، والتجاوز والظلم، بعضاً من مفاخرهم، وكانت غيرتهم المفرطة هي في دفن بناتهم البريئات وهنّ على قيد الحياة، وكانوا— كما يحدثنا القرآن الكريم عنهم—: «وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ[٢]» ويظل منتهزاً اي فرصة ليدسها في التراب حية لانه بهذا العمل— حسب تفكيره الأرعن— يغسل العار عن نفسه ويجنب نفسه وعشيرته

١— شرح نهج البلاغة للخوئي ج ٢ ص ١٧٣، التاريخ الجامع للاديان ص ٤٧.
٢— سورة النحل ٥٨.

فضيحة وعارسبيها ان اغارت عليهم القبائل في المستقبل، وهذا هو الإمام أمير المؤمنين علي(ع) في إحدى خطبه المذكورة في الكتاب الخالد نهج البلاغه يقول واصفاً الحياة الاجتماعية للعرب:

«وانتم معشر العرب على شرّ دين، وفي شرّ دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيّات صمّ، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون ارحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة،[١]».

وهكذا نجد ان سكان شبه الجزيرة العربية كانوا يعيشون وسط لجّة من الفساد والتردي، وقد تحولوا بسبب الجهل واللامبالاة الى مجموعة وحشية، طالبة للهوى قد اخذ منها الفراغ مأخذه فعاشوا الضياع وابتلوا بالخرافات والأساطير، شأنهم في ذلك شأن اكثر سكان العالم من معاصريهم[٢].

***

ومن البديهي انه يلزم لاصلاح وبناء مثل هذا المجتمع الخاوي المتردي، انقلاب اساسي وشامل لكل الجوانب الحياتية للانسان، كما ان من اللازم والضروري أن يكون قائد هذه النهضة الشاملة رجلاً مؤيداً بقوى السماء و منتخباً من قبل الله تعالى لكي يبقى بعيداً عن احتمال جرّ المنافع الشخصيّة والتعدي على حقوق الاخرين، والقضاء على جميع مخالفيه الشخصيين بحجة «التصفية».

نعم لابدان يكون هذا القائد رجلاً إلهياً يعمل في سبيل الله

١— نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٧٤ ط بيروت.

٢— دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي.

وحده و يعمل لاجل رفاه و سلام و تقدم المجتمع البشري كله، لانه و بدون شک اذا كان القائد لايتمتع بالروح المعنوية والاخلاق العالية ولم يكن للملكات والصفات الانسانية الفاضلة وجود في شخصيته، مثل هذا القائد لاولن يتمكن من اصلاح مجتمع اونجاة أمة.

إن القادة المؤيدين بنصر السماء هم وحدهم فقط القادرون على إيجاد التغيير الجذري العميق البنّاء في الشؤون الفردية والاجتماعية للبشرية.

والآن لابد أن ننظر إلى شخصية القائد الجديد لعملية الانقلاب العالمي، و ماهي التغييرات التي احدثها في هذا العالم.

النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

ولادته وطفولته

ولادته، و طفولته

...كانت مدينة مكّة غارقة في ظلام و سكون ثقيلين ولا يطالع الناظر إليها أية مظاهر للحيوية والنشاط، أللهم إلا ذلك القمر الدؤوب الذي بداكعادته كل يوم يتحرر من خلف تلك الجبال الجرداء المسودة، و يرتفع في الآفاق رويداً رويداً لينشر أشعته الفضّيّة الهادئة على تلك البيوت البسيطة الغريبة عن تعقيدات المدنيّة وتجملاتها.

وبدأ الليل يتجاوز منتصفه قليلاً، فعم أرض الحجاز القاحلة نسيم لطيف عذب جعلته يخلد الى الراحة و ينعم بالهدوء، والنجوم هي الاخرى بدأت في تلك اللحظات الحلوة تضفي على ذلك المشهد الطبيعي صفاء ما، وتعكس بلألائها على الأرض الطيبة جاذبية و سحراً و تطالع ساكني مكة بابتسامة عذبة جميلة... وحان وقت السحر وطفقت طيور السحر الساحرة تعزف ألحانها البرئية التي تحيي القلوب بنغماتها الموسقة وكأنها تناجي الحبيب في ذلك الجو الفردوسي العابق، و مع أن آفاق مكة كانت بانتظار فجرها

اللاحب الحبيب إلا أن سكوتاً مبهماً محيراً لم يزل متحكماً في هذه المدينة.

الجميع كانوا في نومهم العميق إلا آمنة، فقد كانت يقظة و بدأت تحسّ بالألم الذي كانت تنتظره... الألم الذي أخذ يشتدو يشتد... وفجأة رأت في غرفتها عدة نساء تعلوهن المهابة ويجللهن النور، وتفوح منهن روائح زكية لم تعهدها آمنة من قبل، وتحيرت آمنة في شأن هؤلاء النسوة المجهولات و كيف استطعن الدخول من الباب الموصدة!...[١]

ولم يطل تحيرها إذجاء إلى الدنيا وليدها الحبيب، وبهذا قرّت عينها بعد شهور من الانتظار بوليدها الذي أطلّ على الدنيا في سحر اليوم السابع عشر من ربيع الاول[٢] و فرح الجميع بهذا المولود المبارک الذي أنارت طلعته بيت آمنة المظلم، والتي افتقدت في تلك الحالة زوجها الذي لم تمهله يد الموت ليتسنى له رؤية الوليد الحبيب، إذ اختطفته حين رجوعه من الشام، فتوفي في يثرب و دفن هناك ، حيث ترك آمنة وحيدة مع جنينها الذي كان يؤنس وحشتها القاتلة[٣].

محمدّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الوليد العجيب

ولد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و صاحبت ولادته حوادث

١— بحارالانوار، ج ١٥ ص ٣٢٥.
٢— المصدر نفسه ص ٢٥٠.
٣— المصدرج ١٥ ص ١٢٥.

مختلفة سواء في السماء أو في الارض، و خاصة في الشرق الذي كان مهد حضارة ذلك العصر، و جاءت هذه الحوادث وكأنها تريد ان تؤدي دور وكالات الأنباء السريعة في عصرنا هذا لتنبئ عن وقوع حادث خطير.

ولأنه كان مقدراً لهذا الوليد الجديد أن يحطم طواغيت عصره و يقضي على كل تلك العادات والسنن البالية ليقيم على انقاضها أسس التقدم والرقي البشرى... لهذا كله كان لابد لصفارات الإ نذار أن تعلن انتهاء عهد الظلام و بداية النور. و من هذه الحوادث أن أيوان كسرى أنوشيروان الذي كانت الأنظار مشدودة إليه و إلى صاحبه حيث كانت ترى فيه مثلاً أعلى للقدرة والسلطان الذي لايزول... هذا الايوان اضطرب في تلك الليلة و مادت به الأرض فسقطت أربع عشرة شرفة من شرفاته...

وهناك أيضاً نار فارس قدخبت وانطفأت فجأة و لأول مرّة منذ ألف سنة[1] وهكذا تنبّه سدنة معابد النار والكهان الذين منعتهم حجب التعصّب والتقليد الأعمى عن التفكّر في آيات الله في الكون و في أنفسهم، هؤلاء تنبهوا إلى أن للسماء خبراً و أن لهذا اليوم شأناً خطيراً.

وكان لجفاف بحيرة ساوة أثر في تنبيه منطقة أخرى لحقيقة مايجرى على وجه الأرض[2].

١، ٢— بحارالانوارج ١٥ ص ٢٥٨—٢٦٣.

حليمة مرضعة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم

كان العرب منذ القدم قد اعتادوا على تسليم أطفالهم إلى المراضع اللاتى كنّ يسكنّ البادية وذلك لتنشئة الطفل نشأة سليمة. ففي البوادي يتوفر الهواء الطلق والحياة الهادئة البعيدة عن صخب المدينة وضوضائها، أضف الى كل ذلك الفصاحة في اللغة العربية، حيث كان منبعها الأصيل سكان البوادي البعيدين عن الاختلاط بغيرالعرب[١]. لهذا الأمور من جهة ولقلة لبن آمنة من جهة أخرى ارتأى عبدالمطلب جدّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وكفيله أن يختار للوليد الحبيب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مرضعة نجيبة يطمئن إليها في رعايته والعنايه به، و كان أن وجد حليمة بنت أبي ذؤيب و هي من قبيلة بني سعد المعروفة بشجاعتها و فصاحتها، و حليمة هذه تعد من النساء الأصيلات العفيفات وهكذا اصطحبت حليمة محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم الى ديار بني سعد في البادية وكانت ترعاه رعايتها لابنها بل أكثر من ذلك فقد كان قلبها قدامتلأ حبّاً و شغفاً بهذا الطفل منذاللحظة الأولى التي أبصرته فيها.

و في تلك السنة كان قد أصاب بني سعد القحط ومسّهم الضرّ والشقاء وأجدبت بهم الأرض فلامطر ولا زرع ولارعي.

ولكن ما إن وصل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى تلك الديار، إلا و بدأت البركة والخير تغمران منزل حليمة فقد سمنت غنمها بعد الهزال، وزادلبنها بعد النضوب، ونعمت هي وأبناؤها

١ــ السيرة الحلبية ج ١ ص ٩٩.

بحياة راضية هادئة بعد حياة الفقر والعوز والفاقة.

ونما محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لاكماينمو غيره من الأطفال، فقد كان أسبقهم عدواً و أفصحهم لساناً.

وكانت حالة اليمن والبركة التي حلّت مع محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بين بنى سعد واضحة و قد أدركها بسهولة واعترفوا بما لهذا الرضيع من شأن حتى أنّ الحارث زوج حليمة قال لها يوماً: «تعلمي يا ابنة أبي ذؤيب إنك قد حملت نسمة مباركة[1].

محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في غمرة الأحداث

كان محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم قد بلغ السادسة من عمره المبارك حينما خرجت به أمّه آمنة إلى يثرب لزيارة أخواله من بني النجار[2] إضافة إلى زيارة قبر زوجها الحبيب عبدالله، و بعد أن قضوا وطرهم من زيارة يثرب قفلوا راجعين إلى مكة، و في الطريق تلم العلة بآمنة ولا تكاد تصل إلى «الأبواء» حتى تودع هذه الدار و تلتحق بالرفيق الأعلى[3] وهكذا يحرم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من حنان أبويه وعطفهما و هو في السن التي يحتاج فيها أمثاله إلى رعاية الوالد و محبة الوالدة.

صفات و ملامح محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم

لم تكن ولادة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و ما صاحبتها من

---

١ — مقتبس من بحارالأنوار والسيرة الحلبية وسيرة ابن هشام.

٢ و ٣— سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٨.

حوادث خارقة فحسب بل كانت سيرته وهو في طفولته متميزة عن أقرانه وأمثاله و هذا هو ما كان يدعو عبدالمطلب إلى اعزازه و احترامه بشكل مثير[١].

و هذا هو عمه أبوطالب يصف طفولة ابن أخيه فيقول: «لم أجد لمحمّد كذبة قط ولا عملاً مخالفاً للحكمة، لم يكن ليضحك في غير محله، أو يتكلم فيما لايعنيه و كان يقضى جلّ وقته وحيداً»[٢].

و ما إن بلغ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم السابعة من عمره حتى كان لليهود شأن معه فقد كانوا قد قرأوا أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لايمكن أن يأكل الحرام وأنه يجتنب مافيه شبهة، فسرقوا دجاجة وأرسلوها إلى أبي طالب وراقبوا هذه العملية فأكل الجميع لعدم علمهم بأصل القضية إلاّ محمّداً فقد امتنع عن الأكل و حفظه الله عن أكل الحرام لئلا يترى لحمه ودمه على الحرام وهو المعدّ لحمل رسالة الله إلى البشريّة.

و هناك ادزك اليهود أن لهذا الطفل شأناً و أنه هو الموعود[٣] و أما عبدالمطلب زعيم قريش و كبيرها فلم يكن يعامل محمّداً كما يعامل باقي أحفاده بل كان دائماً يظهر رفعة مقامه و علو منزلته و يتنبأ بما يكون له من الشأن.

كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظلّ الكعبة وكان بنوه يجلسون حول ذلك الفراش إجلالاً لأبيهم و كان هيبة هذا الشيخ تمنعهم من الدنو والاقتراب منه إلا ذلك الطفل محمد

١ و ٢— مقتبس من بحارالانوارج ١٥ ص ٣٨٢.
٣— بحارالانوارج ١٥ ص ٣٣٦.

صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد كان يدنو منه متى شاء وقد يسبقه إلى مكانه فيجلس فيه فيحاول أعمامه ردّه ومنعه عن ذلك وهنا ينبري الشيخ عبدالمطلب فيكفهم عنه ويقول «دعوا ابني فوالله إنّ له لشأناً عظيماً» وهنا يتجاذب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الحديث مع عبدالمطلب سيّد مكة وعظيمها[1].

١ــ بحارالانوارج ١٥ ص ١٤٢، سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٨.

خواطر من حياة محمّد

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

في طفولته وشبابه

خواطر

طوى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم دور طفولته التّي عانى فيها من ألم اليتم... في ظلّ جدّه الكبير عبدالمطّلب، و عمّه الرّؤوف أبي طالب، و كأنّ هذه السّنوات الأولى من عمره المليئة بآلام اليتم الذّي كان ولاشك ّباعثاً على الحزن العميق والأسى الشّديد، في نفسه الشّريفة... كأنّ هذه السّنوات كانت ضرورية ولازمة لوضع الأسس القويّة لشخصيّته العظيمة، فقد أعطته هذه الأحداث و ما صاحبها من آثار دَرْساً مؤثّراً في الصّبر على المكاره، و تحمّل المسؤوليّات الثّقيلة التي كان يعدّ للقيام بها في المستقبل.

و بدأ محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم)يتخطّى مرحلة الطّفولة ليدخل دور الفتوّة والشباب الّذى تتفتّح فيه القوى والقابليّات، و تنموفيه المدارك والغرائز... و لئن كان قد حرم رعاية الوالد و حنان الأمّ و هو أحوج مايكون إليها فإنّ الله تعالى هيّأ له من عمّه أبي طالب خيرراعٍ و كفيلٍ، و قد كان عند حسن ظنّ أبيه عبدالمطّلب حينما عهد إليه أمر رعاية محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و كفالته من

بعده.

و قام أبوطالب بالمهمّة خير قيام فاغدق عليه من حبّه وخصّه بعطفه وضمّه إلى عائلته وأسكنه بيته، و كيف لايكون كذلك و محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ذكرى أخيه الشقيق و وصيّة والده العظيم؟

و هكذا صار أبوطالب الأب الثّاني لمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والعمّ الوفيّ، و المربّي المخلص و توطدت رابطة الحبّ و المودّة بين العمّ و ابن أخيه، حتّى لم يعد أحدهما يستطيع أن يفارق الآخر، فكان أبوطالب يأخذ بيد محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و يدور معه في أسواق العرب، مثل (عُكاظ) و (ذي المجاز)، وحتّى حينما عزم أبوطالب على السّفر إلى الشّام في تجارة له، فإنّه لم يقو على فراق محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و خاصة حينما وجد أن هذه الرّحلة قد صادفت هوى في نفس محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و رغبة إليها، فصمّم على اصطحابه، قائلا لأهل بيته: والله لأخرجنّ به معي ولايفارقني، ولا أفارقه أبداً.

و حينذاك ركب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) النّاقة ليقطع طريق الشّام الطّويل بادئاً بذلك رحلته الأولى إلى الشّام[1].

حديث بحيرى الراهب مع محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

في أحد الأيّام، وفيما كانت قافلة قريش التجارية تقترب

١ــ سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٠.

من (بُصرى)[1] أطل راهب يسمّى (بحيرى) من صومعته، ولشد ما تملكته الحيرة والعجب حين رأى قافلة تتجه صوب بصرى، و قطعة من الغمام قدْ ألقت ظلالها فوق بعضهم، تسير معهم إذا ساروا وتقف إذا وقفوا، وتتّجه حيثما اتجهوا

فلمارأى بحيرى ذلك نزل من صومعته، ثم ارسل إليهم أحد غلمانه قائلاً:

«إنّي قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش فأنتم اليوم ضيوفي».

فاستجابوالدعوته، و حضرواعنده و تخلّف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من بين القوم حداثة سنه، و بقي عند رحالهم.

و لم يجد فيهم بحيرى طلبته وغايته، فسألهم، هل بقي أحد منكم لم يحضر؟ فأجابوه أن قد حضر جميعهم إلاّ غلام هو أحد ثهم فقال بحيرى: أدعوه فليحضره هو الآخرمعكم.

و ذهب بعضهم فأحضر محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلمّا رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ويحدق فيه، حتّى إذا فرغ القوم من طعامهم و تفرقوا، قام إليه بحيرى، و جرت بينهما المحاورة التّالية:

بحيرى: يا غلام، أسألك بحقّ اللاّت و العزّى إلاّ ما أخبرتني عمّا أسألك عنه.

محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لا تسألني باللّات والعزّى

١ــ مدينة صغيرة تقع في اطراف الشّام.

فواللّه ما أبغضت شيئاً قطّ مثلهما، وليسا هما سوى صنمين من حجر يعبدهما قومي.

بحيرى: فباللّه عليك الاّ ما صدقتني فيما سألتك.

محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): سل عمّا بدالك فإنّني صادق دائماً.

و بعد محاورة قصيرة بينهما وقع بحيرى على يديه وقدميه يقبلهما و يتمتم قائلا: هو ذاك ... هوذاك و يسأله أبوطالب: أيّ شيء هو؟

فيقبل بحيرى على أبي طالب و يقول له: ماهذا الغلام منك؟

فيجيب أبوطالب: إنّه ابني.

بحيرى: ما هو بابنك، و ماينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّا.

أبوطالب: صدقت فانه ابن أخي.

بحيرى: صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده و احذر عليه يهود فواللّه لئن رأوه و عرفوا منه ما عرفت ليسعون في هلاكه فإنّه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

أبوطالب: ماذاسيفعل، و ما هو شأن يهود معه؟

بحيرى: لقد رأيت في عينيه علامات النبّوة.

أبوطالب: و من أين عرفت ذلك؟

بحيرى: من الغمامة التّى كانت تظلّه، من الكتب الّتي رأيت فيها أوصافه و نعوته، من نبرات صوته الرّوحية، ومن أموراخرى.

و أخيراً قال له أبوطالب: سوف لن يتركه اللّه و سيحفظه

من شرّأعدائه اليهود[١].

و تحرك الركب عصر ذاك اليوم و سرت همهمة بين القوم عما داروكلّهم ينظر إلى محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و كل يقول شيئاً.

رعى الغنم وأثره في حياة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

على الرّغم من أنّ أباطالب كان معدوداً من زعماء قريش وكبارها إلاّ أنّ أمواله لم تكن تفي بحاجته في إقامة إوَد عائلته الكبيرة، و سدّ متطلّباتها، و ما ان بلغ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مرحلة الفتوة و الشّبابّ، حتّى أحبّ أن يتخّذ لنفسه عملاً يخفّف به عن كاهل عمّه و الآن لننظر ماذا ينتخب لنفسه من عمل ينسجم مع روحيته و يوافق ميله؟

إنّ اللّه تبارك و تعالى كان قد قدّر لمحمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يكون نبيّاً للإنسانيّة جمعاء، و يتسلم زمام القيادة التّي تستلزم إمكانيّات روحيّة و نفسيّة هائلة، خاصّة و أنّه سيواجه ذلك الرّكام الضخم من العقائد الباطلة و التقاليد الخاطئة الّتي كانت تتحكم في عقول النّاس و سلوكهم و لابدّ أنّه سيواجه لذلك مقاومة شديدة من أولئك الذّين وجدوا آباءهم على ملّة و هم على آثارهم مقتدون لهذا كله فقد ألهمه اللّه تعالى أن يختار لنفسه الرعى مهنة و

١ــ مقتبس من سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨١، بحارالأنوارج ١٥ ص ١٩٣ــ ٢٠٤، اعلام الورى ص ٢٦.

حرفة لما فيها من تحرّر من ضوضاء المدينة وجدال أهلها و فسوقهم و انغماسهم في شهوات الدّنيا من جهة ولأنّها من جهة أخرى توفّر له فرصة مناسبة للتفكير والتأمل في مظاهر الطبيعة الحرّة الّتي يعيشها وجها لوجه في الصحراء ولاشك أن لكلّ هذا تأثيره الكبير فيما يستعد له محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في المستقبل.

و هكذا بدأ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يرعى غنم أهله وغنم الآخرين في أطراف مكة[1] وقد ظهرت في هذه المرحلة من حياته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مظاهر امانته وحرصه على أموال الآخرين وعدم تطاوله على ماتحت يده من الغنم وأصوافها وألبانها حتّى أنّه اشتهر بين أهل مكّة بـ (محمّد الأمين)[2].

عفته و طهارة نفسه و تعاليه عن المغريات

حيثما تبدأ الغرائز والقوى عند الإنسان بالتّفتح إثر مرحلة البلوغ، يكون الطّفل قد تخطّى مرحلة الطّفولة و دخل مرحلة هامّة و خطيره من مراحل حياة الإنسان ألا وهي مرحلة المراهقة التّي تمتاز بتهيّج الغرائز عند الشّابّ وفورانها والبحث عن اشباعها، وفي هذه المرحلة الحسّاسة بالذات يكون الشّابّ معرضاً للانحراف الأخلاقي، و التلوّث، و ارتكاب الخطيئة والانزلاق في الشهوات و إذا لم يكن هناك من مراقب و مربّ يأخذ بيدهذا الشّابّ و يحميه عن السقوط في الرّذيلة أو إن لم يسع الشّابّ نفسه في حفظ نفسه عن اللّهو والعبث

١ و ٢— سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٣— ١٦٧.

وتهذيب غرائزه والسموّها عن عالم المغريات، إن لم يحدث هذا آوذاك فلاشك أنه سوف ينحدر إلى وادى الشّقاء السّحيق الّذي قد لايمكنه أن يرى للسّعادة لوناً بعده و محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الّذى كان يعيش في بيئة منحرفة قد اتّخذت اللّهو واللّعب والعبث شعاراً لها و قد غيرّت الرذائل الخلقيّة والمآثم سماتها و آفاتها واستهوى الجنس ومغرياته شبابها بل و جتّى كهولها و شيبها إلى الحدّ الذّى كانت ترتفع معه بعض الأعلام البيض (بل السود في حقيقتها) فوق بعض البيوت الدّاعرة معلنة و بكلّ وقاحة وصلف عن وجود بغي من السّاقطات تلبّى شهوات أولئك السّاقطين،نعم إنّ محمّدا (ص) الذّى كان بلغ مرحلة شبابه في مثل هذا المجتمع المنحطّ الفاسد و رغم أنّه لم يتزوج قبل الخامسة والعشرين من عمره إلاّ أنّه لم يتأثّر بما حوله أبداً ولم تصدر عنه خطيئة او عمل مشين مهما كان صغيراً، بل إنّ الجميع أحبّاء كانوا أوأعداء كانوا يشهدون له على أنّه مثال الكمال والفضيلة والأخلاق.

و يتضّح هذا الأمر بكلّ جلاء في الأشعار التّي أنشدت بمناسبة زواجه من خديجة والتّي كان منشدوها يذكرون فيها جملة من صفات محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و كمالاته.

فلنستمع إلى هذا الشّاعر حيث يقول:

أخديجة نلت العلى بين الورى وفخرت فيه جملة الثقلان
أعنى محمّداً الذّى لامثله ولد النّساءفي سائر الأزمان
فله المكارم والمعالي والحيا ماناحت الأطيار في الأغصان[1]

١ــ بحارالأنوارج ١٦ ص ٧٤.

وهذا شاعر آخر يقف خاشعاً في محراب فضائل (محمّد صلّى الله عليه وآله) وسلّم فيقول:

لو أن يوازن أحمد بالخلق كلهم رجح
و لقد بد امن فضله لقر يش أمر قدوضح[1]

١ــ بحارالأنوارج ١٦ ص ٧٥.

الزّواجُ الأوّل لمحمّد

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

دور المراهقة، هودور الفتوة. دور تفتّح الغرائز و بروز القوى الجنسيّة عند الأفراد و حينما يصل الفتى أو الفتاة إلى هذه المرحلة يحسّون في أعماقهما بحاجة كلّ منهما إلى الجنس الآخر، و إذا لم يلبّيا هذه الحاجة الملحّة و يشكلابيت الزوجيّة، فإن سعير ذلك الإحساس سوف يشتد و يشتد حتّى يفسد عليهما سعادتهما ويحرمهما من لذّة الطّمأنينة والهدوء.

و من هنا كانت نظرة الإسلام الواقعيّة إلى هذا الموضوع فهو يرى ضرورة تلبية هذه الغريزة الإنسانيّة ولكن بالشّكل الصحيح المنظّم كى لايقع المجتمع فريسة للطّغيان الجنسي.

لهذا فإنّ الإسلام يوصي بالزّواج المبكر، و يدعو الناس إلى الاعتماد على اللّه تعالى و عدم الخوف من الفقر و تكاليف الأسرة في المستقبل.

فيقول تعالى: «**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامىٰ مِنْكُمْ وَالصّٰالِحِينَ مِنْ عِبٰادِكُمْ وَإِمٰائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِن فَضْلِهِ وَاللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ**»[1]

١ــ سورة النّور الآية ٣٢.

ولكننا نجد في بعض الحالات أنّ الحالة المعيشية لبعض الأفراد لا تمكّنهم من تهيئة الشّرائط الأوّليّة للزّواج ولاشك أنّه في مثل هذه الحالة لابّد من السّعى والعمل لتهيئة الظّروف اللاّزمة و المساعدة للزواج و حتى تحين تلك الساعة لابـد للإنسان من أن يتّكل على تقواه و يعتمد على عفّته و هنا تقول الآية الكريمة:

«وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذينَ لايَجِدُونَ نِكاحاً حَتّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِه»[١].

كان محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره الشّريف إلاّ أنّه كان يعيش ظروفاً ماليّة صعبة لم تكن تسمح له بالإقدام على الزّواج لذا بقي منتظراً توفّر الإمكانيّات اللازمة و تهيئة شرائط و مستلزمات الحياة الزّوجيّة.[٢]

اقتراح خديجة

كانت خديجة امراة ثريّة و ذات شرف و منزلة، و كانت تستأجر الرجال ليتّجروا لها في أموالها مقابل مقدار من المال تجعله لهم.

فلمّا بلغها عن محمّد(ص) مابلغها من صدق حديثه، و عظم أمانته و كرم أخلاقه التي كانت حديث النّاس في نواديهم و مجالسهم بعثت إليه، و عرضت عليه أن يخرج في مال لها الى الشّام و يتّجر به

١ــ سورة النّور الآية ٣٣

٢ــ أعيان الشّيعة ج ٢ ص ٨، السّيرة الحلبيّة ج ١ ص ١٥٢.

مع غلام لها يقال له ميسرة، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التّجار، فقبل محمّد(ص)بهذا العرض علّه بذلك يستطيع أن يساعد عمّه أباطالب الذّي كان بلغ به الكبر و اشتّد عليه الزّمان مع كثرة في العيال وقلّة في المال.[١]

من هى خديجة؟

هي خديجة بنت خويلد و كانت امرأة حازمة شريفة لبيبة و قد تزوّجت مرّتين من بني مخزوم، كان زوجها الأوّل هو (أبوهالة) فلمّا توفّى تزوجّت من (عتيق المخزومي) الذي توفّي هوالآخر، و كان هذا ممّا جعلها من أوفر أهل مكّة غنى، و مع أنّها كانت قد بلغت الأربعين من عمرها، فقد تقدم لطلب يدها العديد من كبار قريش، نظراً لشرفها و نسبها وأموالها، إلاّ أنّ خديجة ردّت كلّ أُولئك لأنّها كانت تعتقد أنّهم إنّما تقدموا طمعافي مالها أولأنّهم ليسوا أكفاء لها[٢].

محمّد (ص) يسافر الشام

في الوقت الذّي كانت فيه قافلة قريش التّجاريّة تتهيّأ للسفر إلى الشّام كانَ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قدهيأ نفسه هوالآخر لهذه الرّحلة و قد استدعت خديجة غلامها ميسرة و أمرته أن

١ــ سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٨، بحارالانوارج ١٦ ص ٢٢.
٢ــ بحارالانوارج ١٦ ص ١٢ تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٢٧.

يلازم محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويقوم على خدمته.

و نحن و إن كنّا لانستطيع أن نأتي على كل تفصيلات هذه الرّحلة و ما انطوت عليه من أمور إلاّ أنّنا نستطيع أن نقول باختصار: إنّ هذه الرّحلة كان عميمة الخير و البركة من جوانب عديدة.

فهى أوّلا قد درّت ربحا وفيراً على محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) وخديجة، و ثانياً أنّها أظهرت شخصيّة النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بصورة أجلى عند زملاء السفر من قريش، أضف إلى ذلك لقاء النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع الراهب المسيحي[1] الذي تنبأ بما يكون له من شأن عظيم حسب علامات وجدها فيه و أخيراً فقد كانت هذه المرحلة إحدى مقدّمات الزواج الميمون، زواج محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و خديجة و بعدمدة عزمت القافلة على الرجوع وأشرفت الرّحلة على الانتهاء و باع محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و اشترى ما اراد، ثم قفل راجعاً إلى مكّة، فلمّا قدموا إليها تحدّث ميسرة إلى خديجة عن رحلتهم و اصفاً ربحهم الكثير و البركة التي غمرتهم، و شرع يروى لها عن محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و ما ظهر على يديه من الكرامات، و ما صاحبه من العجائب، و ماسمعه من قول الرّاهب عنه[2].

و لمّا سمعت خديجة كلّ هذا من ميسرة مع ما كانت تعرفه عن فضله و نبله، و ما كان من أقوال أحد علماء اليهود في شخصيّة

١— سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٨، وهذا الرّاهب غيرالرّاهب بحيرى الذى التقي به النبّي(ص) في رحلته الأولى حينما كان غلاماً مع عمّه أبي طالب.

٢— الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٩ ط بيروت.

محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و علوّ شأنه و تزوجه من خير نساء قريش — أى خديجة — كلّ هذه الأمور طبعت حبّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في قلب خديجة، و تمنت من أعماقها أن يتسنّى لها الزواج من محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الّذي صارفي نظرها الزّوج المثالي الذّي كانت تطلبه و تبحث عنه، و قد زاد من شوقها لهذا الأمر أنّها كانت قد ذكرت لابن عمّها ورقة بن نوفل — و كان نصرانيّاً قد تتبع الكتب الأولى — ما قاله لها غلامها ميسرة من حديث الرّاهب و من الظّل الملازم له و من الأمور الأخرى، عندها قال ورقة:

لئن كان هذا حقّاً يا خديجة، إنّ محمّداً لنبيّ هذه الأمّة[1].

ولكن كيف تصل إلى هذه الأمنيّة؟ إذ ليس من السّهل أن تصارحه بذلك مع ماهي عليه من الشخصيّة المتينة والمكانة المحترمة بين نساء قريش[2].

اقتراح الزّواج

بعثت خديجة صديقتها و صاحبة سرّها «نفيسة بنت منية» إلى محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لتبحث معه حول موضوع الزواج و تنظر رأيه فى ذلك، و ذهبت نفيسة إلى محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

١— سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٣، بحارالأنوارج ١٦ ص ٢٠— ٢١.

٢— ذهب ابن إسحاق كمايذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية إلى أنّ خديجة عرضت نفسها على النّبيّ بدون وساطة، و يذهب الآخرون إلى أنّ ذلك قدحصل بوساطة تمت على يدأخت خديجة او صديقتها نفيسة.

و قالت له:

ما يمنعك أن تتزوّج؟ فأجابها محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليس عندى ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشّرف والكفاءة الاتجيب؟

قال محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من هي؟

أجابت نفيسة: خديجة.

قال محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم): كيف لي بذلك، وهي الّتي قدردّت أشراف قريش وأغنياءها.

قالت نفيسة: علىّ ذلك و سأقوم به[1].

و ما ان اطمأن محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى أنّ خديجة ترغب في الزّواج منه حتّى ذكر ذلك لأعمامه الذين فرحوا و باركوا بدورهم هذا الزّواج، و نهضوا معه إلى بيت خديجة حيث تمت الخطبة، واحتفل بعدها بالزّواج[2].

و قد قضى محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة و عشرين سنة مع خديجة كانت من أفضل أيّام حياته الزّوجيّة، ولم تكن خديجة الزّوجة الصّالحة فقط بل انّها كانت فوق ذلك خير ناصرو معين لمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في حياته قبل الرّسالة و بعدها ولقد كانت أوّل من آمن بدعوته من النّساء و وضعت جميع ماتملك

١— السّيرة الحلبيّة ج ١ ص ١٥٢، حياة محمّد ص ١٢٢، أعيان الشيعة ج ٢ ص ٨.

٢— بحارالانوارج ١٦ ص ٥٦— ٧٣.

من الأموال تحت تصرّفه لينفقها في سبيل الإسلام[١].

و قد رزقه اللّه من هذه الزّواج ستّة أولاد، منهم ابنان هما، القاسم والطّاهر اللّذان ماتافي مكّة قبل البعثة و هماطفلان.

وأربعة بنات هنّ رقية و زينب وأمّ كلثوم وفاطمة(ع) الّتي كانت أفضلهنّ[٢].

و نظراً لمابذلته خديجة من تضحيات و ما اتسمت به من وفاء وفداء لمحمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) و رسالته فقد كانت أثيرة عنده يكنّ لها الحبّ العميق لافي حياتها و حسب بل و حتّى بعد مماتها إذ ماكان يتذكرها إلاّ و تظهر عليه علامات الحزن و التّأثّر[٣] و قد كان يبكي أحيانا لفراقها.

و على أيّ حال فقد تزوجّ محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) خديجة و عمرها أربعون و انتقلت إلى جوار ربّها في الخامسة والسّتين أى بعد بعثة النّبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بعشر سنين ولم يتزوج النّبيّ محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) غيرها مدة حياتها إكراماً و إعظاماً لها.

رحم اللّه خديجة فقد كانت مثالاً للّزوجة المخلصة الأمينة المؤمنة.

١ــ بحارالانوارج ١٦ ص ١٠ــ ٧١، اعيان الشّيعة ج ٢ ص ٨.

٢ــ بحارالانوارج ١٦ ص ٣، اعلام الورى ص ١٤٦، أعيان الشّيعة ج ٢ ص ١٨.

٣ــ بحارالانوارج ١٦ ص ١٣.

تعدّد زوجات النبيّ

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

على واقعه

مقدّمة:

نماذج من تهم المسيحيّين (المستشرقين)

في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي بدأ كُتّاب المسيحيّة الحاقدون شنّ هجمة شرسة، من خلال الكتب المملوءة بالأكاذيب والدّسّ و الافتراء مستهدفة النيل من الإسلام و مفاهيمه و تاريخه بشكل عامّ، و تشويه الصورة الحقيقة لشخصيّة رسول الإسلام العظيم، ليضلّلوا النّاس و يصرفوهم عن الاهتمام بالإسلام و التوجّه إليه.

والمصادر الأوّليّة الّتي كان يعتمد عليها هؤلاء الكتاب هي بعض التآليف الحاقدة التي ألّفت في القرون الوسطى المظلمة في أوربا من قبل بعض المؤلّفين المسيحيّين الّذين أعمت العصبيّة بصائرهم، فحالت بينهم و بين إدراك الحقائق؛ ويمكننا بهذا الصدد ان نشير إلى كتاب (ردود على دين محمّد) الذي صدر فى القرن الخامس عشر للمدعو «جان آندريه مور» (J. A. Maure) و هو يعتبر مرجعاً هامّاً لأكثر من جاء بعده من الكتّاب المسيحيّين في كتاباتهم المعادية للإسلام، نظراً لجهل هؤلاء الكتاب باللغة العربيّة من جهة،

و انعدام المصادر الإسلاميّة في مكتباتهم من جهة أخرى.

و كانت النتيجة أن قنع هؤلاء باستنساخ الكتاب المذكور كمصدر أصيل للتعرف على الإسلام و تصوراته و مفاهيمه. نعم، إنّ هؤلاء الكتاب الذين نجد «كتابهم المقدّس» ينسب بصراحة جريمة الزنا إلى بعض الأنبياء و يتّهمهم بارتكابه[1] لايمكن أن نتوقع منهم حينما يتحدثون نبيّنا محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلاّ أن يكتبوا ماشاءت لهم عصبيّتهم التي أشربت في نفوسهم و إذاً بهم يكتبون أنّ محمّداً كان رجلاً مهووساً شهوانيّا. و أنه في الوقت الذي كان يمنع أتباعه عن اتخاذ أكثر من أربعة زوجات دائمات، كان يتخذ لنفسه أكثر من هذا العدد بكثير[2].

لقد صورت لهم أوهامهم الفاسدة أنّهم بتلفيق هذه الأكاذيب يستطيعون تشويه صورة نبيّ الإسلام في ذهن القارئ المسيحي الّذي لايعرف شيئاً عن الإسلام و أنّهم بهذا العمل يحولون بين الإسلام و بين تقدّمه السريع و انتشاره الواسع، ولكن محاولتهم هذه باءت بالفشل الذريع كسائر محاولاتهم التي ثبت زيفها و عدم تأثيرها.

ولم يطل الوقت، فقد ظهر كتاب و علماء مسيحيون منصفون جعلوا البحث العلميّ الموضوعيّ البعيد عن التعصب مهما أمكن شعاراً لهم، و منهجاً، وانبروا للذّبّ عن ساحة نبيّ الإسلام والدفاع عن شخصيته العظيمة، والاعتذار في الوقت نفسه عما تعرض له

١ــ الكتاب الثاني لصموئيل الاصحاح ١١.

٢ــ حياة محمد(ص) ص ٣١٥.

النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والقرآن الكريم من جملات ظالمة شنتها أقلام قومهم المتعصّبة.

إنّنا في الوقت الّذي لانشكّ فيه أن مثل هذه الأساطير والأكاذيب ليس لها مجال في مثل مجتمعنا الاسلاميّ الذي يؤمن و يعتقد بعصمة الأنبياء عليهم السلام إلاّ أنّنا نجد من الضروريّ بيان الحقيقة ساطعة و بكل وضوح لأولئك الّذين لايتفقون معنا في هذه العقيدة ولايلتقون مع نظرتنافي عصمة الأنبياء.

حكم التاريخ و قضاؤه

لقد ذكر محقّقوا التاريخ المنصفون من المسلمين والمسيحيين على حدّ سواء أنّ الزواج المتعدد للنبيّ لم يكن اتباعا للهوى و كيف يمكن أن يتصور ذلك في حقه (ص) و هو الذي قد تزوج أول مرّة حينما كان في الخامسة والعشرين من عمره، أى في عنفوان شبابه و في المرحلة التي يتعلق فيها حلم الشاب بزوجة شابة جميلة، تزوج بالسيدة خديجة بنت خويلد التي كان لها من العمر حينذاك أربعون سنة، و بعد أن ودعت جمالها و نشاطها و شبابها مع زوجيها السابقين...؟

و مع هذا فإنّنا نرى النبّي محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يعيش مع هذه السيّدة الجليلة قرابة خمس و عشرين سنة في سعادة تامّة و هناء لايشوبه اختلاف، و أنّه في كل هذه المدة لم يتزوج من غيرها مع كثرة الراغبين فيه من بنات مكّة و فتياتها اللائى كنّ يفتخرن و يباهين بالزواج من محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الصادق

الأمين لوتسنّى لهنّ ذلك.

إذن فلاشكّ في أنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لوكان شخصاً قد تملكته الشهوة الجنسيّة لما امتنع كل هذه المدّة الطويلة عن التزوّج من فتاة جميلة شابّة تقاربه في السن و تدانيه في الفتوة والشباب.

استجواب للمستشكلين

إذا أراد أحد أن يسأل هؤلاء ما هو السبب الذي دعى الرسول الأكرم(ص) و هو في قمة شبابه أن يتزوج بسيّدة ارملة قد تخطت سن الشباب و تجاوزت الأربعين من دون أن يتزوج من غيرها طيلة حياتها، ولكنه في السنين العشرة الأخيرة من حياته(ص) حيث كانت الشيخوخة من جهة و مشاكل الدولة الإسلاميّة الفتية داخليّاً و خارجيّاً من جهة أخرى، لا تسمحان له بفرصة التفكير في النساء عادة... لكنه مع ذلك يقدم على التزوج من نساء عديدات؟

أليس في حفظ النساء الارملات و رعاية أيتامهن ترويض كبير للنفس؟

أم هل يتفق العيش مع نساء عديدات، لكل منهن أخلاق و صفات و أذواق خاصّة... مع الهوى و اللذّة والتمتّع؟

هذه كلها أسئلة نوجهها إلى هؤلاء المفترين، ولكنها تبقى حائرة دونما جواب. ولابد لهم أخيراً من أن يعترفوا بأنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم يكن أبدا من أولئك الّذين تستهويهم

الشّهوات، وتستولى عليهم اللّذائذ الجنسيّة و أنّهم إنّما اتهموه بكل ذلك، عناداً منهم و ظلماً و تعصّباً لاغير.

و أخيراً لنستشهد بكلمة لأحد منصفي المستشرقين و هو «جان ديون بورت» حيث يقول:

«هل من الممكن لرجل تستهويه الشهوة، و في محيط و بيئة كان تعدّد الزوجات فيه عملاً عاديّاً و طبيعيّاً أن يقنع بزوجة واحدة لمدّة خمس و عشرين سنة؟[1]

تعداد أزواج النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

اختار النبي (ص) بعد وفاة خديجة عدّة زوجات، و من جملتهن: سودة، عائشة، غزية، حفصة، أم حبيبة، أُمّ سلمة، زينب بنت جحش، زينب بنت خزيمة، ميمونة، جويرية، صفيّة[2].

و هنا لابد أن نبحث في الظروف التي كانت توجب على النبيّ (ص) أن يتزوج من كلّ هذه النساء، ويمكننا أن نقول أنّ تزوج النبيّ (ص) كان لعدّة غايات وأهداف هي:

١— لأجل رعاية اليتامى و الحفاظ عليهم من مكاره الدهر، بعد أن فقدوا كفيلهم و حاميهم، خاصّة و أنّ بعض تلك النساء كنّ في خطر أن تستردهن قبائلهن بعد فقد أزواجهنّ، و كان هذا العمل يحمل في ثناياه فتنة الكفر والارتداد الّذي قد تتعرض له، كمافي

١— كتاب «عُذْرِ تَقْصيرِ به پيشْگاهِ مُحَمّد وَ قُرْآن» فارسي ص ٣٥.

٢— بحارالأنوار ج ٢٢ ص ٢٠٠— ٢٠٤.

شأن سودة التي فقدت زوجها بعدالهجرة إلى الحبشة وبقيت بدون راعٍ وكفيل، فتزوجها النبيّ(ص) إذ كان قد فقد خديجة(رض) حينذاك [۱].

و كذلك الأمر في شأن زينب بنت خزيمة، فقد كانت أرملة قد فقدت زوجها وأشرفت على الفقر مع أنّها كانت امرأة معروفةً بالكرم وتعاهد الفقراء حتى عرفت بـ (أمّ المساكين) ولأجل إنقاذها من محنتها فقد تزوجها النبي(ص) وتوفيت في حياته [۲].

وهكذا كان شأن «أمّ سلمه» فقد كانت امراة محسنة و صاحبة أيتام و على جانب كبيرٍ من الإيمان والورع فتزوجها(ص) لأجل ذلك [۳].

۲ـ لأجل القضاء على بدع الجاهليّة و محوها و يتجلى ذلك في قضية زينب بنت جحش ابنة عمة النبي(ص) التي كان زيدبن حارثة متبنى النبيّ (ص) قد تزوج بها، و كان هذا الزّواج قد تمّ باقتراح و طلب من النبيّ (ص) لكي يكون مثلاً و دليلاً حيّاً على إلغاء الإسلام للطبقيّة والتعالي الأسرى، ذلك أنّ زينب كانت إحدى حفيدات عبدالمطلب كبير قريش وزعيمها، أمّا زيد فقد كان عبداً مملوكاً أعتقه النبيّ(ص) ثم تبناه من بعد.

و كانت زينب باعتبار شخصيتها و نسبها تتعالى على زيد و تفتخر عليه مما جعل حياتها الزوجيّة مشوبة بالمرارة و بعيدة عن

۱ـ حياة محمد صلّى الله عليه وآله وسلم للدكتور محمد حسين هيكل ص ۳۱۹.

۲ـ حياة محمد ص ۳۲۰ـ بحارالأنوارج ۲۲ ص ۲۰۳.

۳ـ حياة محمد(ص) ص ۳۲۱.

السعادة المطلوبة من الحياة الزوجية.

ولم تثمر نصائح النبي(ص) لهما بإدامة زواجها و دفع الاختلاف من بينهما مما أدّى في النهاية إلى انفصام عرى الزوجيّة والطلاق.[١]

و بعد أن طلّق زيد زينب. عقد عليها الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم) و ذلك بأمر إلهيّ و دستور ربانيّ للقضاء على عادة جاهليّة كانت سارية المفعول في المجتمع آنذاك و كان لها آثارهم السيئة في أوساطهم.

ذلك أنّ العرب في الجاهليّة كانوا يعتبرون الولد الذي يتبنونه ولداً واقعيّاً لهم يجرى عليه مايجرى على الأولاد الصلبيّين للرجل، لذا فإنّهم لم يكونوا يتزوجون من نساء الولد المتبنّى كما لو كانت زوجة ابنه الحقيقي الصلبي.

ولنستمع إلى الآية الكريمة التي تذكر هذه القضيّة و ملابساتها **فَلَمّا قَضىٰ زَيْدٌ مِنْهٰا وَطَراً زَوَّجْنٰاكَهٰا لِكَيْ لاٰيَكُونَ عَلَى الْمُومِنِينَ حَرَجٌ فِي اَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً**[٢].

الاتهامات الباطلة:

لقد ابتلى بعض الكتّاب المسيحيّين بالتعصّب الأعمى ولم

١ــ بحارالانوارج ٢٢ ص ٢١٤ــ ٢١٨.

٢ــ الاحزاب: ٣٧.

يستطيعوا أن يحرّر واعقولهم وتفكيرهم مما دعاهم أن يلصقوا التهم المزيّفة الكاذبة ويخترعوا من عند ياتهم بعض الأساطير، فنجدهم يصوّرون قضية زواج النبي(ص) من زينب حسب مايشتهون و يعتبرونها قصة غرامية إذ أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) حسب افترائهم كان عاشقاً لزينب و مبهوراً بجمالها السّاحر الرائع و أنّه كان قد أبدى ذلك مما أدّى إلى أن يطلّقها زيد.

ولا يمكننا إذا أردنا أن نكون موضوعيّين إلاّ أن نصف هذا الكلام بأنّه باطل من الأساس و أنّه يخالف جميع الشواهد العقليّة والتاريخيّة المعتبرة إذ أنّ النبيّ(ص) إذا كان أسيراً لهواه إلى هذا الحدّ و يشغل فكره بسحر الفاتنات و جمالهن، و إذا كان جمال زينب بلغ هذه الدرجة الكبيرة التي جعلت النبي(ص) مفتونا بها فما الّذى كان قد منع النبي(ص) من الزّواج بها حينما كانت فتاة باكراً تتمتع بنظارة و معنى خاص؟ أهل يمكن أن يقال أنه(ص) لم يكن يعرف عنها ذلك الجمال؟ كيف و هي لم تكن بعيدة عنه فهي ابنة عمته و قريبته؟ أللّهم إنّه لايمكن أن يتقول هذه الأقاويل إلا من أعمى التعصّب بصره و بصيرته.

٣— زواج لأجل فك الأسراء و تحرير الأرقّاء و ذلك في مثل زواجه بـ (جويرية) التي كانت من قبيلة (بني المصطلق) المشهورة، و كانوا قد أعلنوا الحرب على المسلمين، و بعد معركة جرت بينهما كان الغلب فيها لجيش المسلمين، تم أسر أعداد كبيرة من هذه القبيلة، و كان من بين الأسراء (جويرية) بنت الحارث كبير القبيلة و رئيسها، فأطلق النبي(ص) سراحها إكراماً لها و تزوج بها،

و حينما علم المسلمون بأنّ النبيّ صار صهراً لهؤلاء الأسراء الّذين في أيديهم بادروا لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى إكراماً لزواج النبيّ من جويرية... يقول ابن هشام (لقد تّم تحرير مأة أسرة من بني المصطلق ببركة هذا الزواج)[1].

٤ــ زواج من أجل الارتباط بالقبائل العربيّة الكبيرة و احتواء بعض أفرادها، و جلب حمايتهم، والحيلولة دون تخريبهم و تأليب الناس عليه و علي الدين الجديد و من هذا القبيل كان زواجه بعائشة،حفصه ، أمّ حبيبة، صفيّة، و ميمونة.

أمّا (أمّ حبيبة) فإنها بنت أبي سفيان الذي كان و أسرته من أعدى أعداء النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) و اهل بيته في الجاهلية والإسلام و كان زوجها مسلماً قد هاجر إلى الحبشة إلاّ أنّه ارتدّ وصار نصرانيّاً ثم أدركته المنية، مما سبب اضطراباً و قلقاً بالغاً لأمّ حبيبة فقد كانت مسلمة لا تستطيع الالتجاء إلى أبيها وأسرتها لما تعلم من عدائهم السافر للنبي(ص) ولدعوته ولكن النبي(ص) أنقذها من حيرتها فتزّوج منها لكى يكون لها راعياً و كفيلاً من جهة، ولكى يكون في ذلك جلباً و استمالةً لقلوب بعض بني أمية (قبيلة أمّ حبيبة) من جهة ثانية[2].

وكذلك الأمر في (صفيّة) بنت (حيّ بن أخطب) رئيس قبيلة بني النضير التي نقضت العهد مع النبي (ص) مما أدى إلى

١ــ سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٩٥.

٢ــ الإصابة والاستيعاب ص ٣٠٥، موسوعة آل النبي ص ٣٦٩ــ ٣٧٤، سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٢٣ اعلام الورى ص ١٤٢.

معركة بينها وبين المسلمين انتهت بغلبة المسلمين وكان من جملة المقتولين (حيّ بن أخطب) والد (صفيّة) وقد ارتأى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الزواج من صفيّة نظراً إلى مكانتها وشخصيّتها بين أفراد قبيلتها مما أدّى إلى إيجاد نوع من الصلة بين النبي (ص) وبين أكبر القبائل اليهوديّة عدداً او أهمّها خطراً[1].

و أمّا ميمونة فقد كانت هى الأخرى من قبيلة «بني مخزوم» العربيّة الشهيرة بين القبائل العربية و كان النبي قد تزوج بها عام[7] للهجرة[2].

إذن يتضح لنامن كل ذلك أنّ نساء النبي(ص) ماعدا عائشة كنّ من اللأرملات و أنّ أكثرهن قد تخطين سن الشباب والنضارة والفتوة و في هذا أكبر دليل على أنّ تعدد أزواج النبي(ص) كان في واقعه لأجل مصالح و أهداف مقدّسة، و غايات نبيلة، مما لايدع مجالاً أبداً لإلصاق تهم التهور الجنسي، و استعار الشهوة بشخصية أعظم رجل عرفته البشرية و هوالرسول الكريم محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

١ــ موسوعة آل النبي (ص) ص ٣٤٥، اعلام الورى ص ١٤٢.
٢ــ بحارالأنوارج ٢٢ ص ٢٠٣، سيرة ابن هشام ج ٣ و ٤ ص ٣٧٢.

شخصيّة الرسول الأعظم محمّد

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

قبل البعثة

غريزة التقليد والمماشاة:

يعتقد علماء النفس أن المجتمع (البيئة، المحيط) هوالذي يكون و يوجد أساس الشخصيّة في الأفراد و يولد لديهم طريقة تفكّرهم، و نوعية تصوّراتهم، وأنّ غريزة (التوافق والمماشاة) تجرّهم إلى أن يقتفوا اثر المجتمع في أفكاره وسلوكه.

و إن كان البعض من هؤلاء قد أفرط في هذه النظريّة واعتبرها قاعدة كلية عامّة وغير قابلة للاستثناء ففسّروا جميع الظواهر الاجتماعية على أساسها، إلاّ أنّنا لايمكننا إلاّ أن نسلّم بأنّ للمجتمع تأثيراً في روحيّة الأفراد ونمط تفكيرهم لهذا نجد أنّ مجتمع الفضيلة والتقوى يربّي و يوجد النماذج الصالحة المتّقية كما أنّ المجتمع الفاسد المنحرف يجرّ أفراده إلى هاوية الفساد والضّلال، ولهذا ندرك أنّ الّذين يستطيعون أن يشقوا طريقهم بعيداً عن خطّ سيرالمجتمع المنحرف ومن دون أن يتأثّروا بمفاسده وأهوائه يعتبرون أناساً غير عاديين.

مجتمع الجزيرة العربيّة قبل ظهور الإسلام

كان العالم كلّه والجزيرة العربية بشكلٍ خاصّ غارقاً في بحار الجهل والفوضى وكانت عامّة العرب تحترق بنارالفساد والخرافات، وسحب الجهل السوداء قد حولت آفاق الحياة العربيّة إلى ظلام حالك ، وجعلت أيّامهم قاسية مريرة، يغمرها الشقاء والبؤس والاضطراب فما أكثر الأموال التي راحت من جرّاء غارات النهب والسلب و ما أكثر الدّماء التي أريقت ظلماً وعدواناً.

وكانت الأوهام والخيالات الفاسدة والامتيازات الطبقية قدسيطرت على المجتمع وتحكمت فيه وأحكمت قبضتها عليه، والشئ الوحيد الّذي لم يكن له وجود في مجتمعهم هوالقانون والعدالة.

الأغنياء القساة الجفاة يمتصّون دماء الضعفاء و يأكلون مال اليتامى ظلماً، و يستثمرون الطبقة الفقيرة الكادحة أبشع استثمار، و يتيهون بعد ذلك كله في عالم التكبّروالخيلاء والعظمة، و يتقلبون في أحضان الذّهب والفضّة، و يتنعمون بحياة البذخ واللهو والإسراف على حساب أولئك المحرومين.

وكان نهجهم في المعاملة والتجارة باطلاً و فاسداً إلى حدٍّ كبير، و كان كلّ من الزوجين مسئولاً عن وفاء دين صاحبه فإذا عجزت المرأة عن دفع دينها و عجز زوجها عن أدائه عنها حبس الدائن زوجها حتى يفيه حقّه[1].

وبدلاً من أن يحصلوا على كمالهم بأنفسهم و يتخذوا من

١ــ دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٦ ص ٢٥٠.

تحصيل العلوم مفخراً لهم، كانوا يتّكلون على امجاد آبائهم وأسرهم وقبائلهم، وقد يصل بهم الأمر إذا ارادوا والفخر بكثرة عددهم أن يذهبوا إلى المقابر لإحصاء قبورموتاهم لتكون شهادة إثبات على أنّهم أكثر عدداً من قبيلة أخرى منافسة لهم.

كانت معاقرة الخمرة وارتكاب الزنا و ممارسة الأعمال الشهوانيّة، و سفك الدّماء البر يئة، قد أصبحت من أعمالهم اليوميّة المألوفة، ولايشعرون حيالها بأىّ نوع من الحياء والخجل.

فهذا (امرؤ القيس) الشاعر العربيّ المشهور يذكر في شعره (من معلقته الشهيرة: قِفانَبْك ...) من دون تردد أوخجل غرامياته الفاضحة مع ابنة عمّه (عنيزة) وعشقه لها، واتصالا ته بها و اختلائه معها. والأعجب من ذلك أنّهم عدّوا شعره هذا من النماذج الرفيعة في الأدب العربي فاستحق بذلك أن يعلق على جدران الكعبة الشر يفة[٢].

هذه صورة مختصرة عن الحالة العامّة— خلقيا وسلوكيا— في ذلك المجتمع الذي شع نورالإسلام في آفاقة المظلمة.

ومن البديهي أن الإنسان الذي لايتلوّن بصبغة هذه البيئة ولايتلوث بأنجاسها، يعتبرذا شخصية ملكوتية متميزة، وأنه يستحق بذلك قيادة الإنسانيّة و خلاصها من مشا كلها وأوضاعها البائسة.

الأنبياء قادة المجتمعات لاأتباعها

في الوقت الّذي كان عامّة الناس يتّجهون صوب الأصنام،

١— مجمع البيان للطبرسي ج ١٠ ص ٥٣٤، الطبعة الجديدة.
٢— شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٣.

كان محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذي لم يتلق درساً من أحد يتّجه وحده صوب غار «حراء» و هناك يقف خاشعاً متضّرعاً وهو يتأمّل في الكون وما أبدع فيه الخالق عزّوجلّ من روائع تتجلى فيها عظمته و قدرته.

كان محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذي أحاطه الله تعالى برعايته وعنايته قدميزطريق الحق المستقيم ومشى فيه بكل ثبات واطمئنان و من دون ترديد و اضطراب و قدبدأ خطواته الأولى في وجه أفكار قومه وعاداتهم الخاطئة وتقاليد هم البالية.

إنّه (ص) لم يكن رافضاً لعبادة الأصنام— ولو للحظة واحدة من عمره الشريف— فحسب وإنما كان لايطيق حتى سماع أسماءها كمامرّ عليكم في السابق و ذلك حينما كان في الثانية عشرة من عمره المبارك والتقى ببحيرا الراهب فأقسم عليه هذا بحق اللات والعزّى أن يجيبه على أسئلته، فأجابه النبيّ (ص) غاضباً لا تسألني باللاّت والعزّى فوالله ماأبغضت كبغضها شيئاً قط[١].

وقد كانت عظمته (ص) وطهارته وعفّته حديث الناس في المجامع والمجالس الخاصّة منها والعامّة. كما منحه صدقه وأمانته وإخلاصه لقب (الأمين) الّذي لازمه واشتهر به، ولقد كانت هذه الصفة المحبّبة هي التي دعت خديجة (رضى الله عنها) أن تختاره ليتّجر بأموالها.

انّ أخلاق محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسلوكه وتعامله مع

١— اعلام الورى ص ١٨.

الناس بلغت حداً من الرفعة والسمّو بحيث استطاع بها أن يدخل قلوب النّاس ويجتذبهم إليه. فعن عمّار بن ياسر أنّه قال: كنت راعياً مع محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قبل البعثة فاقترحت عليه يوماً أن نذهب بأغنامنا في اليوم التالي إلى مرعى «فخّ» فوافق على ذلك، ولمّا كان من الغد ذهبت إلى «فخ» فوجدت محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قدسبقني إلى المرعى إلاّ أنّه كان يمنع أغنامه من الرعى، ولمّا سألته لماذا تمنعها عن الرعي؟ أجاب (ص): «إنّى كنت واعدتك فكرهت أن أرعى قبلك»[1].

وهكذا كان محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد اختط لنفسه خطّاً غير خطّ قومه، ولم يتأثر بعادات قومه و سننهم، بل كان يحثّ الخطى في طريق الكمال حتى وصل أرفع درجاته تعينه على ذلك يدالغيب التي كانت ترعاه وتحافظ عليه وتصنعه على عينها.

لهذه الأمور وغيرها كان الناس يكنّون له احتراماً فائقاً، و يستعينون برأيه في كثير من المشكلات.

حكم النبيّ محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بين قريش في وضع الحجر الأسود

كان محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في الخامسة والثلاثين من عمره الشريف حين اجتمعت قريش لبناء الكعبة و ترميم بنائها السابق ولما كانت قبائل قريش المتعددة تريد اقتسام هذا الفخر

١ــ بحارالانوارج ١٦ ص ٢٢٤.

ببناء الكعبة، لذا فقد جزأته وجعلت لكل قبيلة قسمامنه.

وقد بدأ الوليد بن المغيرة بالهدم وهو يقول: أللّهم إنا لانريد إلاّ الخير ثّم تابعه الناس وأعانوه. حتى انتهى الهدم بهم إلى الأساس الذى بناه إبراهيم (عليه السلام) و هنا بدأت كل قبيلة ببناء قسم من البيت حتى بلغ البنيان موضع «الحجر الأسود» فاختصموافيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى لتفتخر بذلك على سائرالقبائل، وقد اتسع الخلاف حتى أنهم استعدوا للقتال فقربت «بنوعبد الدار» جفنة مملؤة دماً، ثم تعاقدوا هم و «بنوعدى بن كعب» على الموت و أدخلوا أيديهم في ذلك الدّم علامة على التصميم على القتال والموت.

وقد استمر هذا الخلاف الوحشيّ أربع ليال أو خمساً، ثم إنّهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا فقال لهم أبو أميّة بن المغيرة و كان أكبر قريش سنّاً «يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه» فقبلوا اقتراحه و انتظروا أوّل من يدخل، فكان أوّل داخل عليهم هو رسول الله محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمّد فلما وصل اليهم وأخبروه الخبر، قال (ص) هلمّ إلىّ ثوباً، فأتى به، فأخذ الركن (الحجرالأسود) فوضعه فيه بيده، ثم قال(ص): لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه أخذه و وضعه هو بيده ثم بنى عليه[1].

١— سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩٢— ١٩٨ ط مصر ١٣٧٥.

وهكذا استطاع (ص) بحكمته و حسن تدبيره أن يجنب قريشاً فتنة خطيرة، كان من الممكن ان تؤدى إلى سفك دماء كثيرة وتجرّ عليهم ويلات و مصائب عظيمة.

وقد أوضحت هذه القضية بشكل جلّي الشخصيّة الاجتماعيّة العظيمة للنبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما أنّها بينت بعض جوانب العظمة في آرائه الصائبة و نظراته الحكيمة.

و بهذا يعلم أنه (ص) كان أهلاً وكفواً لمقام النبوّة ورفع رأية الإصلاح السّماوىّ المقدّس.

بداية الوحى

رسالة محمّد (ص) العالميّة

استطعنا فى المقالات السابقة ان نتصفح بعض الأوراق والصفحات من حيات الرسول الأعظم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و قرأنا فيها لمحة و نموذجا من حياته المليئة بأسمى معانى السموّ والرفعة والجلال والعظمة.

ولنبدأ الآن باستعراض أشدّ المراحل حسّاسيّة في حياته المقدسة.

عاش محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أربعين في مجتمع تتحكم فيه الفوضى والقلق ولا تبدو فيه للناظر أىّ آثار جليّة أو معالم واضحة للحضارة والتمدن وكانت هذه الحالة المضطربة شديدة الإيلام لنفس الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الشريفة إذ كان (ص) لايرى في مجتمعه المتدهور غير ظلمات الجهل والضلال.

فإذا ذهب إلى الكعبة— بيت التوحيد و مأوى الموحدين— طالعته مناظر مؤلمة من عبادة الأصنام والاستكانة لها، بدلاً من أن يشاهد هناك — كما هو المفروض في مثل هذا المكان المقدس—

علامات التوحيد و عبادة الله الواحد الأحد.

و إذا ترك الكعبة وذهب ليتوغل في أوساط الناس واجهته حالات و مناظر أليمة أخرى، فأفكار قومه الفاسدة و عاداتهم السخيفة كانت تغرقه في بحر من الأسى والحزن.

و كانت آلام الفقراء وآهات المحرومين تؤلمه و تؤذيه و كم كان يشتد تأثّره حينما يشاهد سقوط منزلة المرأة اجتماعيا إلى أسوأما يتصور من السقوط هذا بالإضافة إلى مايشاهده من آثار القمار والخمر والقتل والجريمة ومظاهر الفساد الأخرى الّتي شاعت وخيمت بظلالها السوداء على مجتمعه البائس.

كان محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يبتعد في بعض الأوقات عن ذلك المجتمع الأسود المظلم، و يلتجئ إلى غار «حرا» ليريح نفسه قليلاً و يتخلص من جوقومه الخانق الثقيل وليشتغل في ذلك المكان المنعزل الهادئ بعبادة ربه و مناجاته و كان ينظر من قلله الى آثار رحمة الله والى انواع عجائب رحمته و بدائع حكمته... فيعتبر بتلك الآثار و يتذكر بتلك الآيات و يعبدالله حقّ عبادته[1].

محمّد (ص) في سن الأربعين

بلغ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الأربعين وقد صارمهيّأً لأداء رسالته السّماويّة العالميّة[2].

١ــ بحارالأنوارج ١٨ ص ٢٠٦.

٢ــ مناقب ج ١ ص ٤٠.

و في أحد الأيام و بينما كان يتعبد في غار «حراء» إذ أحسّ فجأة بنور يملأ آفاق نفسه و روحه و بحرارة عجيبة تغمر وجوده. و بينما هو كذلك إذا بجبرئيل — ملك الوحي — يبشره بالنبوة والرسالة؛ و يقول له «إقْرَأْ» و بقي النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عدة لحظات مستغرقاً في حالته الرّوحية الملكوتيّة ثم أجال بطرفه فيما حوله و إذن به يسمع ذلك الصوت السابق مرّة ثانية و مرّة ثالثة[1] بصوة واضحة جلية يقول له «إقْرَأْ».

و هو يتابع مع جبرئيل و يقرأ «**إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، إقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ**»[2]

و بدأ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و كأن حرارة و نشاطا عجيبين قد غمرا وجوده كله و كيف لايكون كذلك وهو الآن قد ارتبط بعالم أكبر وأعلى وأعظم... مع الملائكة... مع جبرئيل... مع الملكوت الأعلى... و هكذا استندت روحه الشريفة الى ركن وثيق و سند عظيم.

لقد رأى في نفسه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قوة النبوّة. ولم يكن للقلق والاضطراب أيّ مفهوم في قاموس وجوده و كيانه... بل كان مغموراً بالهدوء والاطمئنان.

***

١ــ مستفاد من كامل التوار يخ ج ٢ ص ٤٨ــ تار يخ طبري ج ٣ ص ١١٤٨، ١١٥٠.

٢ــ سورة العلق ١ــ٥ هذا و يعتقد كبار المفسر ين أنّ سورة العلق هي أوّل سورة نزلت على النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

هل كان محمّد (ص) يمرفي غار (حراء) بمرحلة دراسية و تعليميّة؟

هذا السئوال قد أجاب عليه بعض المستشرقين والكتّاب الغربيّين بالإيجاب و قالوا: إنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يطالع هناك الإنجيل و التوراة و تعليمات الأنبياء السابقين و شرائعهم، و يستغرق متأملاً في كل ذلك وأنّه كان يجدلذة عميقة في هذا العمل[1].

و من الواضح أنّ معنى هذا الكلام هو أنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان رجلاً قد «كوّن نفسه بنفسه» وأنه قد جاء بدين الإسلام واخترعه من نفسه بعد مطالعته في التوراة والإنجيل والشرائع السابقة.

ولكن هناك شواهد وأدلّة كثيرة تفند هذا المدعى الباطل ونحن نشير إلى بعضها.

١— لو كان نبيّ الإسلام محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد أخذ القرآن من التوراة والإنجيل وغيرهما، لكان يجب أن تتشابه المطالب والأفكار الّتي جاءت في القرآن مع ما في كتب العهدين. هذا في الوقت الذى نجد بين القرآن و بينهما تفاوتاً شديداً واختلافاً أساسيّا.

٢— إنّ آيات القرآن الكريم في بلاغتها و فصاحتها و كيفية

١— كتاب «الاعتذار إلى محمّد والقرآن» الترجمة الفارسية ص ١٩.

تركيبها المحيّر المدهش... جعلت كبار الأدبا والبلغاء في عصر نزول القرآن و في العصور المتأخرة عنه يقفون أمام عظمة القرآن مدهوشين، و معترفين بتفوقه وإعجازه. و هذا الأمر بنفسه ولوحده يثبت أنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان مرتبطا و بصورة مباشرة بمبدأ العالم— بالله تعالى— وليس من شك في أنّ هذه الآيات بكلماتها وتركيبها المعجز لم تكن و ليست موجودة في أي كتاب آخر ليقتبس النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) منه ذلك.

إنّ هذه الدعوى لاأساس لها، ولا تستند إلى أيّ مصدر معتبر وأصيل وإنماهي عبارة عن شائعة و أسطورة اختلقها آباء الكنيسة المسيحيّة و بعض المستشرقين الحاقدين.

٤— لوكان القرآن— كمايدّعون— قد ألّف و كتب اعتماداً على مطالعة «العهدين» لسهل كثيرا على أولئك الذين كانوا يحاولون أن يأتوا بقرآن و آيات شبيهة بمافي القرآن الكريم، الوصول إلى أهدافهم عن طريق مطالعة التوراة والإنجيل اللّذين همافي متناول أيديهم ولاستطاعوا بذلك أن يردّواتحدى القرآن بأنه لايمكن أن يؤتى بمثله أو بسورة من مثله.

٥— من المسلّم به— تاريخيّاً— إنّ نبيّ الإسلام محمّداً (صلى الله عليه و آله وسلّم) كان أمّيّاً و أنّه لم يمارس القراءة والكتابة قبل البعثة[1].

وعلى هذا فهل يمكن لعاقل أن يصدق بأنّ إنساناً لم يتلق

١— كتاب «الاعتذار إلى محمد والقرآن» ص ١٨.

درساً من أحدٍ أبداً، وفي محيط بعيد عن العلم والمعرفة، و غارق في الجهل والأمّيّة... يستطيع أن يأتي بمثل هذاالكتاب المملوء بالمعارف والحقائق؟

إنّنا نسأل هؤلاء المتحاملين على الاسلام المفترين على نبيّه: كيف كان النبيّ الأمّيّ يطالع و يستفيد من التوراة والإنجيل؟ و كيف استطاع أن يخبر في القرآن الكريم بكثير من الأمور الغيبيّة والأخبار الماضية بالإضافة إلى أنباء المستقبل؟

ماهُوَالوحى؟

لاشك أن بين الله تعالى و بين الأنبياء ارتباطاً بنوع من الأنواع وأنّهم بذلك كانوا يتلقون الحقائق من مبدأ العالم وخالقه وأنّ سبب هذا الارتباط لم يكن إلا تكامل نفوس هؤلاء الأنبياء و قوّة روحياتهم و بلوغهم أسمى وأعلى المراتب الإنسانية.

ومماينبغي الالتفات إليه هو أنّ الارتباط بالله تعالى لوسلب من الانبياء لمابقي لهم أيّ شيئ من الكرامة والمنزلة إذ أن كل مايملكون من قدسيّة و من مقام رفيع إنما هو ناشئ من قابليتهم وأهليتهم للارتباط بمبدأ العالم «الله تعالى» ولذا فإنّ كل ماكانوا يقولونه و يبلغونه لم يكن فيه أىّ إبهام وغموض لأنهم كانوا يعلمون علم اليقين ماهيّته و مصدره ومنبعه، وهذا بخلاف مايسمّونه بـ «الكشف» الذي يدعيه البعض إثر قيامه ببعض الأعمال والرياضيّات النفسانيّة والّذي إن حصل فإنّ صاحبه ليس على علم

بمصدره و موحيه بل انه غالباً يكون هذا الكشف المدّعى نتيجة ظنون وحدس وخيال وماأكثر مايكون ذلك مخالفاً للواقع.

والواقع أنّ امتياز الأنبياء عن هؤلاء المدّعين للكشف واضح لايحتاج إلى بيان فكل مايراه و يقوله رسل الله تعالى ليس فيه غموض ولاطريق لعلامات الاستفهام اليه و على هذا فقد عرفنا أنّ الوحى هوارتباط بين الله وأنبيائه وهذاالارتباط قد يحدث بواسطة ملاك الوحي (جبريل) أحياناً و من دون واسطة أحيانا أُخرى.

هل الوحى نوع من المرض؟

يزعم بعض الكتاب الغربيّين الذين لانشك في كونهم مغرضين و حاقدين أنّ نزول الوحي على نبينا محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) لم يكن سوى نوع من المرض يسمى بـ (الهستيريا)[1] او (الصرع) ولكن هذه التهمة— من حسن الحظّ— واهية الأساس إلى درجة لانرى حاجة معها إلى شرح و بيان إذ أنّ هذا المرض تصاحبه دائما أعراض و حالات معيّنة لانجد لها وجودافي حالات النبي محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

يقول «جان ديون بورت»: «إنّ المزاعم التي يطلقها البعض بأنّ محمّداً (صلى الله عليه و آله وسلّم) كانت تنتابه حالات «الصرع» هي في الواقع من الأقوال الواهية التي لا تستند إلى أيّ أساس ودليل وأنها جزء من المحاولات التي قام بها بعض اليونانيين المغرضين

١— الهستيريا (Hystiria) نوع من الأمراض الروحية العصبية.

ليحولوا بواسطة هذه التهمة بين الناس و بين التأثّر والاعتقاد بدعوة النبيّ (صلى الله عليه و آله وسلّم) الجديدة ولكي ينفروا العالم المسيحى من شخصيّة محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) و ينظروا اليه من خلال هذه التهمة التي لا تدع مجالاً للاعتماد عليه والإعجاب بشخصيّته ومكانته الخلقية والنفسيّة[1] وأننا إنما نقول ببطلان هذه الفرية لأن أحداً لم يشاهد في الرسول الأعظم محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) حالات الاضطراب والصراخ والعويل الذى يعترى الشخص المبتلى بمرض (الهستيريا) لم يشاهد ذلك حتى في اشدّ حالات الوحى و نزوله، على النبيّ (صلى الله عليه و آله وسلّم).

وكذلك فإنّ الشخص المصاب بالهستيريا حينما تزول منه هذه الحالة و يرجع إلى حالته الطبيعيّة لايتذكر أىّ شئ مما رآه أو سمعه في تلك الحالة وهذه الحالة على عكس ما كان يشاهد من النبيّ (صلى الله عليه و آله وسلّم) اذ أنّه كان لايتكلم أثناء نزول الوحى عليه، وعند ماينجلي عنه كان يبدأ بالحديث عما أوحى إليه و ماسمعه أورآه. هذا كله بالإضافة إلى أنّ كلام المصاب بـ «الهستيريا» يكون مرتبطاً في الغالب بما تخلقه و تصوره له أعصابه المحطمة من أوهام و خيالات مثل أن يرى صوراً مخوفة وموحشة تؤذيه و تهدده بالقتل فتكون في هذه الحالة كلماته تدور حول هذا الموضوع ولكن لم يجد أىّ شخص إلى الآن أن مصابا بالهستيريا يكون كلامه وحديثه مشتملاً على العلوم والقوانين الصحيحة والتعاليم الهادية كقوانين الإسلام الّتي لم يستطع إنسان إلى الآن و بعد أربعة عشر قرناً من الزمان أن يتحداه و يوجد

١ــ كتاب «الاعتدار إلى محمّد والقرآن» ص ٢٠.

فيها نقطة ضعف أوخلاف للطبيعة والفطرة البشريّة.

الوحي والعلم اليوم

إن التقدم والاكتشافات العلميّة التي ظهرت في عالم اليوم لم تؤثر في مكانة الإسلام وتقلل من قيمته خلافاً لما يتصوره البعض، وإنما أيدت و قوت من مركزه الوطيد ودعمت أسسه ومبانيه فظهور واكتشاف الرادار واللاسلكي والإشارات التلفونية، كل هذه الأمور أثبتت أن موضوع الوحي لايتعارض ابداً مع نواميس الطبيعية وأسرار الخلقة. ذلك أنّ الله الذي جعل وسائل المواصلات والارتباطات هذه في خدمة البشر لاشك أنه يستطيع أن يوجد رابطة و وسيلة خاصّة بينه و بين سفرائه فى خلقه— أى الأنبياء— وان كان لا تقاس بهذه المخترعات البشرية.

و من ناحية أخرى فإن ظهور بعض العلوم وتوسعها مثل «إحضار الأرواح» و «التنويم المغناطيسى» و «انتقال الافكار» و «التأثير الروحي» كل هذه العلوم أوضحت بما لايدع مجالاً للشك بأنّ حقائق العالم لا تنحصر في إطار المحسوسات.

وأخيراً فإن العلم والتاريخ يشهد ان بأنّ نبيّ الاسلام(ص) هوالمختار والمنتخب من الله تعالى لهداية البشر و إرشاد و إنقاذهم من الضلالة والانحراف و إخراجهم من ظلمات الجهل والفساد و أنّ كل هذه الأفكار السّامية و البرامج الحياتية الراقية إنما وصلته من طريق الوحي.

إنّ العالم الاسلامى يفتخر بقائده العظيم الرسّول محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) لأن رسالته الإسلاميّة لم تكن مصدر سعادة وحياة لعالمه وعصره فحسب وإنما تعتبرو ١٤ قرناً خير مرشدٍ و هادٍ للعالم المتمدن اليوم وستبقى كذلك الى يوم القيامة.

وأن علماء العالم و مفكريه صاروا يدركون أكثر فأكثر عظمة الاسلام و عمق رؤيته و دقة نظرته و صلاح قوانينه.

طريقة النبيّ

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

في تبليغ رسالته

حينما نزل النبيّ محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) من جبل (حراء) متوجهاً إلى بيته، كان يرى نفسه في عالم آخر، إذ أنه قبل أن يذهب الى الجبل لم يكن نبيّاً، أمّا الآن فقد ارتبط بمبدأ العالم و خالقه، و تحققت تلكم النبوّات والبشارات التي بشّره بها «بحيرا» و غيره من الرهبان والعارفين، وعلم الآن أنّ مسؤولية خطيرة قد جعلت على عاتقه وعليه أن يتحملها و يقوم بها. و هكذا كان يفكر في أطراف هذه المسؤوليّة وعواقبها و مقتضياتها وإن قيل أنّه كان حينذاك قلقاً مضطرباً، فإنّما كان لأجل هذه المسؤوليّة وثقلها، لالأجل أنّه لم يكن يعلم أنّه صار نبيّاً أم لا، أو كان يخشى أنّه قد أصيب بسحر أوجنة فالحقيقة أن كل هذه الأوهام لم تجد طريقاً إلى قلب محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) ابداً، إذ أن البشائر و النبوّات السابقة التي كان قد سمعها من أفراد متعددين، و رؤيته لجبرئيل الذى، بشّره و قال له «يا محمد أنت رسول الله»[1]، هذه الأمور كلها كانت كافية ليقطع بأنه نبيّ هذه الأمة. هذا بالإضافة إلى أن الله

١ــ السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٣٧.

تعالى حينما ينتخب نبيّا لهداية الناس فلابد آن يريه من الآيات والبراهين الساطعة مايجعله يتيقن و يطمئن الى أنه مرسل من قبل الله تعالى لكي يستطيع هذا النبي المرسل أن يسعي في طريق الإصلاح والهداية بقلب مطمئن و عزم راسخ و إيمان قوى ثابت. وبناء على هذا نفهم كم يكون الادعاء باطلاً ، من دون تحقيق حين يقال «إنّ محمّداً لم يعلم أنه قد صار نبيّاً بعد لقائه الأوّل مع جبرئيل في الغار، و أنّه كان قلقاً مضطرباً. و أفضى بمخاوفه إلى خديجة أن يكون قد صار كاهنا او تكون به جنة، إلى أن طمأنته خديجة و بشّرته بأنه سيكون نبيّ هذه الأمة[1].

خديجة في انتظار محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم)

إنّ ماحدث يوم البعثة من نزول الوحى على النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) في الغار... أوجب أن يتأخر محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) في الرجوع إلى البيت، وقد قلقت خديجة حينما استبطأته، وأرسلت من يلتمسه في الغار إلاّ انه لم يجده، و فجاءة رأت محمداً (صلى الله عليه و آله وسلّم) يدخل عليها البيت و آثار التغير بادية عليه، فسألته عن سبب تأخره في المجيء فأجابها (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأخبرها عما جرى له في ذلك اليوم. و كانت خديجة منذمدة طويلة تنتظر مثل هذا اليوم، ذلك أنها سمعت غلامها «ميسرة» ذات مرة و هو يحدّثها عن مقانة الراهب النصرانيّ في حق محمّد (صلّى الله عليه وآله

١ــ حياة محمد(ص) لهيكل ص ١٣٤.

وسلّم) و هما في طريق الشام إذ قال له «إن هذا نبيّ هذه الأمة»[١] كما أنها كانت قد تلقت بشارات من بعض علماء اليهود والنصارى الذين أكّدوا أنه سيكون له شأن عظيم.

لهذا كله قامت خديجة وانطلقت إلى ابن عمها «ورقة بن نوفل» الذي كان مسيحيّا قد قرأ الكتب وسمع من أهلها، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله (ص) و ما رآه وسمعه، فقال ورقة: «والذي نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الأكبر (أي جبرئيل) الذي كان يأتي موسى وأنه لنبيّ هذه الأمة.[٢]

ورجعت خديجة من عنده و بعد أسئلة قصيرة طرحتها على النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) واستفسار عن رسالته الجديدة أسلمت على يده (ص) و آمنت به وصدقت بما جاءه من الله، وبهذا حازت قصب السبق والفخر فكانت أوّل من أسلم من النساء[٣].

علي (عليه السلام) أوّل من أسلم من الرجال

أصيبت قريش في إحدى السنين بأزمة قحط شديدة، وكان أبوطالب ذاعيال كثير، و مال قليل، ممادعى النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أن يأخذ «عليّاً» إلى بيته ليخفف بذلك عن عمه أبي طالب[٤] و منذ ذلك الوقت والنبي (ص) كالأب الحاني المحب يحرص

١ــ إعلام الورى ص ٤٧.
٢ــ السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٣٨.
٣ــ المناقب ج ١ ص ٤٢.
٤ــ السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٤٦، بحارالانوار ج ١٨ ص ٢٠٨.

علي تربيته وتنشئته بأحسن وجه ولأن عليّا (عليه السلام) كان يعيش في بيت محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) فقد كان أكثر من غيره تعرفا على خصوصيات النبي (ص) الاخلاقية وفضائله وصدقه. ولذا فقد سارع الى الإيمان بنبوة محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) عن بصيرة كاملة في أمره و هو في العاشرة من عمره، و بهذا حاز هو الآخر قصب السبق من الرجال فكان أول رجل آمن بالله ورسوله[١].

تشريع الصلاة

كانت الصلاة أول الواجبات التي فرضها الله تعالى على النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) والمسلمين، بعد الأمر بتوحيد الله و عبادته وحده، و من هنا يتّضح مدى اهمية وعظمة الصلاة باعتبارها ركيـــزة الارتباط بين الإنسان وخالقه، والمعبرة عن شكر الله تعالى على نعمه التي لاتحصى ولهذا أكّد قادة الإسلام والرسول الأعظم على الخصوص في وصاياهم على أهميّة الصلاة ومنزلتها فقد جاء في الحديث: **الصلاة عمود الدين**[٢] وورد كذلك عن **الأئمة الأطهار (عليهم السلام) «لاينال شفاعتنا من استخفّ بالصلاة»**[٣].

وعلى اى حال فقد أوحي الله تعالى إلى نبيه بواسطة جبرئيل كيفية الصلاة وشرائطها وقد علمها النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم)

١ــ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٤٥، بحارالانوار ج ١٨ ص ١٨٨، الغدير ج ٣ ص ٢١٩ــ ٢٤١، تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٦٠.

٢ــ وسائل الشيعة ج ٣ ص ١٦ــ ١٧.

٣ــ نفس المصدر السابق ص ١٦.

خديجة وعليّاً، وأقاموا معا الصلاة جماعة يؤمهما النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم)[١].

ثلاثة سنوات من التبليغ العملىّ

بدأ نبي الإسلام(ص) دعوته السرّيّة أول الأمر و ذلك لمدة ثلاثة سنين، ذلك أن أرضية الجزيرة العربية بشكل عام و مكّة وأطرافها خاصة لم تكن مهيأة لتقبل الدعوة العلنيّة للإسلام وهم الذين قضوا السنين الطويلة في عبادة الأصنام والشرك بالله تعالى؛ ولو كان النبي(ص) قد أعلن دعوته بادي الأمر لواجهته مشاكل وعقبات صعبة تحول بينه و بين هدفه الأساسي المقدس، ولهذا كان النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) يقف على مرأى من المشركين الذين كانوا يعبدون آلهة متعدّدة... ليقيم الصلاة التي هي عبارة من مجموعة من المعارف المعنويّة والتي تعبر عن الشكر والثناء والدعاء لله الخالق الواحد الأحد.

لقد كان النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ومعه علي (عليه السلام) وخديجة عليها السلام يذهبون الى مناطق تجمع الناس «كالمسجد الحرام» و«منى» ويقيمون الصلاة جماعة أمام الآخرين، وكان هذا الأمر بمثابة أسلوب عمليّ في الدعوة إلى عبادة الله وحده.[٢]

١ــ اعلام الورى ص ٣٧، جامع أحاديث الشيعة ج ٢ ص ٣١، والمعلوم أن الصلاة حينئذ كانت ركعتين فقط لكل وقت من الاوقات الخمسة.

٢ــ إعلام الورى ص ٣٨، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٦٢.

يروى عن عفيف أنه قال «كنت امرأً تاجراً فقدمت أيام الحج وأتيت العباس بن عبدالمطلب فبينا نحن عنده إذاقبل شابّ فرمى ببصره إلى السّماء ثم استقبل الكعبة و بدأ الصلاة فلم يلبث حتى جاء غلام فوقف عن يمينه. ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما فصلّوا معاً، فقلت يا عباس ما هذا الدّين الّذي لاأدرى ما هو؟

فقال العباس: إنّ هذا الشاب محمّد بن عبدالله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) و يعتقد أن الله الذي خلق السماوات والأرض قد أرسله لهداية الناس، وليس على هذا الدين اليوم غير هؤلاء الثلاثة و إن هذه المرأة هي زوجته خديجة بنت خويلد، و هذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب[1] واستمر النبيّ محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) على هذه الحال حتى بدأ عدد المسلمين يتزايد يوماً فيوماً، وتوسعت دعوته على رغم مناهضة المشركين، و لذا فقد صدرالأمر من الله تعالى لنبيه أن يعلن دعوته و يصدع بأمره لأن الأرضيّة للعمل الإسلامي العلني صارت معدّة ومهيّأة.

دعوة الأقربين، و أول معجزة لمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

لقد توفرت الأرضية لإعلان الرسالة الإسلامية بعد أن استمر عدد المسلمين بالازدياد، وكانت المرحلة الأولى أن يدعو النبي (ص) أقاربه وعشيرته إلى الإسلام ، فنزلت عليه هذه الآية

١ــ تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٢٢.

«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»[١] وإنما اختص أقاربه بالدعوة أول الأمر لسببين:

اوّلهما: لكى لايقال لماذا لايدعوالنبى (صلى الله عليه و آله وسلّم) أهله و عشيرته إلى دينه الجديد و يذهب لإنذار البعيدين عنه، فإن كان في دعوته خير و سعادة فلماذا يحرم منهاعشيرته وأقاربه؟

وثانيهما: أنّه كان بحاجة إلى حماية أكثر تساعده على المضيّ في نشر رسالته و تمنع عنه أذى الجاهلين.

لهذا فإنّ النبي (صلّى الله عليه و آله وسلم) بعد نزول هذه الآية امرعليّاً (عليه السلام) بأن يهيئ طعاماً و يدعو اليه عشيرته الذين كان يبلغ عددهم حوالي أربعين نفراً.

فامتثل علي (عليه السلام) امر النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) وهيأ ماأراد ولماحضر الجميع جاء النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) بمقدار من ذلك الطعام بحيث لايكاد يكفي الالواحد منهم في الظاهر إلاّ أنهم تناولوا منه حتى شبعوا بأجمعهم دون أن ينقص من الطعام شيٌ، فتعجب الحاضرون واندهشوا لذلك، إلاّ أبولهب الذي فض الاجتماع وقال «إنّه عمل ساحر» قال هذه الكلمة غافلاً عن ان السحر لايمكن أن يشبع الإنسان حقيقة و واقعاً، إذ لايتعدى السحر ان يكون امراً وهمياً خيالياً.

وبهذا فإنّ النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) لم يستطع ان يتكلم شيئاً في هذه المرة، ولكنه كرّرالدعوة لهم في اليوم التالي وأطعمهم بنفس

١ــ سورة الشعراء الآية ٢١٤.

الصورة السابقة و بعد ذلك قام فيهم خطيباً وقال: يا بني عبدالمطلب، لقد أرسلني الله إليكم نذيراً و بشيراً، والله ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخيرالدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه، فأيّكم يـؤازرني على هذا الأمر، وأن يكون أخي و وصيي وخليفتي فيكم؟ فسكتوا جميعاً، إلاّ عليّاً فقد نهض وهو ما يزال صبيّاً و قال «**أنا يا رسول الله عونک أنا حرب على من حاربت**» فأجلسه النبـي (صلى الله عليه و آله وسلّم) واعاد عليهم مقالته ثلاث مرات وفي كل منها يقوم على (عليه السلام) فقط و حينذاك **أشارالنبي** (صلى الله عليه و آله وسلّم) **إلى على (عليه السلام) وقال «هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم فاسمعواله وأطيعوا»**[1]

وفي هذا اليوم بالذات أعلن عدد من الناس إسلامهم[2].

ولكن الجهل والتعصب لم يدعا ان يؤمن بالنبي (ص) كافة اقربائه وعشيرته، و إن لم يكن ذلك المجلس خالياً من الأثر بالنسبة إلى حماية النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وإسناده، و في هذه القصّة يتّضح أمر ان: **أحدهما:** معجزة النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) إذ أنه أشبع أربعين نفراً بطعام قليل.

وثانيهما: أن الكلمات التي قالها النبي (ص) في حق على

١– تاريخ الطبرى المجلد الثالث ص ١١٧١– ١١٧٣ تفسير مجمع البيان المجلد السابع ص ٢٠٦– بحار الأنوار المجلدالثامن عشر ص ١٩٢ و هذا الموضوع من الحقائق الثابتة التي يقبله المؤرخون الإسلامي وغيرهم راجع الغدير المجلد الثاني ٢٧٨.

٢– تاريخ اليعقوبي المجلد الثاني ص ٢٢.

(ع) أوضحت بما لايدع مجالاً للشك والريب ان عليا (عليه السلام) هو وصيّ رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلّم) وخليفته بدون منازع، و أنه هوالمعدّ لمواصلة قيادة الرسالة الإسلامية.

وهكذا تهيأت الظروف لانتقال الدعوة الإسلاميّة إلى المرحلة العلنية و بدأ النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) جهاده و واصله بروح لا تعرف التعب والكلل، فلم يتوان ساعة عن أداء رسالته المقدّسة، و في هذا الوقت بالذات بدأت رأية الإسلام بالاهتزاز، وشرعت الحقيقة تتقدم إلى الأمام، يسطع نورها و يتلألأ ليكتسح الظلام.

الدّعوة العامّة لمحمّد

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

مرّت ثلاث سنين على بعثة النبيّ (صلى‌الله عليه و آله وسلّم) كان خلالها يدعوالناس إلى الإسلام بصورة سرّيّة، ولايدّخر وسعافي سبيل إنقاذ النّاس الّذين جرفتهم مفاسد الجاهلية، و تمرغوا في أوحال الشرك والضلال، و كان الحب والحنان، والرأفة، والمنطق الجذاب هوالطريق، و هوالسلاح الذي بواسطته يدخل إلى قلوب الناس، ويجتذبهم إلى التوحيد و عبادة الله وحده...[1].

ولكن هذه المرحلة السرّيّة لم تدم، ذلك إنّ الإسلام رسالة عالميّة ولابد أن تصل إلى مسامع جميع الناس «**وَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ**» ولهذا كان لابد أن يظهر الدعوة و يعلن الأهداف التي جاءت لأجلها رسالته السّماويّة.

نداء محمّد (ص) على الصّفا

بعد أن أمر الله نبيّه (صلى‌الله عليه و آله وسلّم) أن يصدع بدعوته و يعلنها إلى الناس و ينشرها بين القبائل جمعاء، امتثل

١ــ السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٦٢، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩.

النبي(ص) هذا الأمر، وأراد أن يبين حقيقة دعوته على الملاء، فتوجّه إلى جبل «الصفا» ليخاطب الناس من ذلك المرتفع، و وقف (ص) هناك ونادى برفيع صوته «**ياصباحاه**» فاجتمعت إليه قريش فقالوا مالك ؟قال أرأيتم إن أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدّقونني؟ قالوا بلي، قال فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد[١].

فنهض أبولهب وقطع عليه كلامه لئلا تؤثر كلماته في قلوب الحاضرين وصاح في وجه النبيّ(صلى الله عليه و آله وسلّم) قائلاً: تبّاً لك، ألـــهذا دعوتنا؟ و بهذا الكلمات البذيئة استطاع أن يفرق الجموع و يفسد على النبي(ص) دعوته، و لقد جازاه الله تعالى على هذا الإنكار والعداء لله ورسوله أن أنزل سورة من القرآن في ذمّه، **و هي «تَبَّتْ يَدا أَبي لَهَبٍ وَتَبَّ» إلى آخر السورة**[٢].

ردود الفعل لنداء النبيّ «ص»

لقد كان لنداء النبيّ(ص) وكلماته الحكيمة البليغة كبير الأثر في كثير من الّذين استمعوا إليه. وبدأ الحديث وانتشر في مجالس قريش ومحافلهم عن الدين الجديد الذي جاء به محمّد (ص) ولقد وجد البعض ممن أرهقتهم المظالم والهبت ظهورهم سياط الظلم والعدوان... وجدوا في هذه الدعوة العادلة الرحيمة نافذة أمل

١ــ تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٧٠.
٢ــ تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٧٠ المناقب ج ١ ص ٤٣ــ ٤٤.

ورجاء في إصلاح أحوالهم، ونجاتهم، ممّا كانوا يقاسون من الذّل والحرمان.

ولكن أشراف قريش و زعمائها لم يستجيبوا للدّعوة الجديدة، بل صمّموا على الوقوف في وجهها و وضع العراقيل أمامها ذلك أنّهم وجدوا النبيّ (ص) يسخر من آلهتهم التي كانوا يعبدونها هم وآباؤهم، ولم يكن يترك فرصة إلاّ وندّد بسخف عقائدهم، و بيّن زيفها و بطلانها، والحقيقة هي أنّهم بدأوايشعرون بما في دين محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) و دعوته من خطر يهدّد كيانهم ومكانتهم إذ أن الناس لوتركوا الأصنام وعبادتها وتوجهوا إلى الله تعالى وحده بالتعظيم فأين تذهب منافع هؤلاء السّادة الحاكمين؟ و من يمتثل أوامرهم ويخضع لمقامهم الدينيّ الشريف؟

ولم يروا بُدّاً أن يجلسوا في دار ندوتهم و يبحثوا فيما يجب اتخاذه لمنع هذه السيرة المباركة من التقدم، وقد استقرّ رأيهم على أن يذهبوا إلى أبي طالب كبير قريش والذي كان بمثابة الوالد للنبي (ص) ليطلبوا منه أن يمنع محمّداً (صلى الله عليه و آله وسلّم) من الاستمرار في دعوته فذهب إليه رجال من أشراف قريش و في مقدّمتهم أبوسفيان، فتحدّثوا عن محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) ودينه و انه سبّ آلهتهم وعاب دينهم، ولكن أباطالب ردّهم ردّاً جميلاً.

قريش تقدّم الشكوى لأبي طالب

وجد أشراف قريش أنّ محاولتهم الأولى لم تثمر، فقد مضى

محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) في نشر رسالته، وازداد أعوانه يوماً بعديوم، فمشوا إلى أبي طالب مرّة أخرى فقالوا له: «يا أباطالب إنّ لك سنّاً وشرفاً و منزلةً فينا وقد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنا، و إنّا والله لانصبر على شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنّا أوننازله وإيّاك في ذلك— أى القتال— حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفواعنه». فدعا أبوطالب محمّداً (صلى الله عليه و آله وسلّم) وأخبره بمقالة القوم، و طلب رأيه في ذلك. فأجابه رسول الله(ص) قائلاً: **ياعمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أوأهلك فيه ماتركته ثم خرج متأثراً وقد خنقته العبرة.**

فناداه أبوطالب وقال له: «أقبل يابن أخي فلما أقبل، قال له: اذهب يابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لاأسلمك لشئ أبدا»[1].

ثم إنّ قريشا سلكوا طريقا آخر لمنع ابي طالب من مناصرة محمد(ص) وحمايته فمشوا اليه واخذوا معهم عمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا له: يا اباطالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد (اقوى) فتى في قريش و أجمله، فخذه فلك عقله و نصره واتّخذه ولداً فهولك وأسلم إلينا ابن اخيك هذا، فنقتله، فإنّما هو رجل برجل، فاجابهم ابوطالب قائلا: والله لبئس ما تسومونني، أتُعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله مالايكون ابدا[2].

١— السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٦٥— ٢٦٦.

٢— السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٦٦— ٢٦٧.

قريش تحاول إغراء النبي «ص»

لقد ظنّ زعماء قريش انهم قديستطيعون ايقاف النبي(ص) عن المضيّ في دعوته وذلك باغرائه بالمال أو الشرف أوالملك والمنصب، ولهذا فقد جاءوا إليه ذات مرّة و قالوا له: يا محمد، ان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، و إن كنت إنّما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئيّاً تراه قدغلب عليك—وكانوا يسمون التابع من الجن رَئيّا— فربما كان ذلك بذلنالك أموالنا في طلب الطّبيب حتى نبرئك منه أونعذر فيك.

فقال لهم رسول اللّه(ص): ما بي ماتقولون: ماجئت بماجئتكم به أطلب أموالكم، ولاالشرف فيكم، ولاالملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً و نذيراًفبلّغتكم رسالات ربي، و نصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظّكم في الدنيا والآخرة وإن تردّوه عليّ أصبر لأمرالله، حتى يحكم الله بيني وبينكم[1].

ولما رأت قريش ان جميع اساليبها لم تنفع في كف محمد(ص) عن تبليغ رسالته، قنعوا واكتفوا منه ان يكف عن شتم آلهتهم و يتركوه وشانه، لذا جاءوا الى ابي طالب و طلبوا منه ان يبلغ محمداً (صلى اللّه عليه وآله و سلّم) مقالتهم فأرسل ابوطالب إلى

١— السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٩٥— ٢٩٦.

النبي(ص) فلما دخل عليه اخبره باقتراحهم.

فقال النبي(ص) ياعم: أولا أدعوهم الى ما هو خير لهم ادعوهم الى ان يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم؟

فقال ابوجهل: ماهي؟ وابيك لنعطينكها و عشرا امثالها؟ قال النبي(ص): ان تقولوا: «**لااله الا الله**» فنفروا و قالوا: سلنا غير هذه، فقال رسول الله(ص) **لوجئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدى ماسألتكم غيرها**[1]

ولما وجد زعماء قريش أنّ أحاديثهم مع النبي(ص) لايمكن أن تؤدي إلى نتيجة لصالحهم تجعله ينفض يديه من رسالته، فلا التهديد ولاالوعيد يستطيع أن ينال من عزم النبيّ(ص) وثباته، فقد صمّموا أن يتخذوا قباله موقفا أشدّ.

١ــ تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٧٦.

مشاكل الطريق
و
تعذيب قريش

تعذيب قريش

منذ اليوم الّذي بدأ فيه النبيّ (صلى الله عليه و آله وسلّم) دعوته العلنيّة للإسلام، وزعماء قريش يتبعون الأسلوب تلوالأسلوب لإسكات هذا الصوت المقدس ومنعه من الاستمرار في الدّعوة إلى رسالته الكريمة المقدّسة فلقد لجأوا أوّلاً— كما هو متعارف في مثل هذه الحالات— إلى الإغراء بالأمور المادّيّة و إطلاق الوعود من أموال و رئاسة ونساء وغير ذلك و لمّا يئسوا من ذلك استعملوا أسلوب التهديد والوعيد، وأخيراً سلكوا طريق الأذى والتّعذيب ليصدّوا النّاس عن اتّباع الدّين الجديد.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة في حياة النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) مرحلة اتصفت بالحقد والوحشيّة من قبل قريش ليمنعوا رسالة الإسلام من التّوسّع والانتشار خوفاً على مصالحهم الرخيصة وحفاظاً على مكانتهم المهزوزة وتسلطهم الجائر على أعناق الضعفاء ولهذا لم يراعوا القواعد الإنسانيّة والأصول الأخلاقيّة في الوصول إلى أهدافهم في الحيلولة بين النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) وتبليغ رسالته إلى

الناس.

وهنا لايمكن أن ننسى أنّ المستوى العقليّ والفكريّ لذلك العصر كان دخيلاً في عدم تقبل البعض من الناس لرسالة الإسلام إلاّ أنّ مخالفة قريش وعداءها إنّما اشتدوقوى حين أحسّوا أنّ في هذه الرّسالة خطراً جدّيّاً عليهم، ذلك أنّهم وجدوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) يسخر من أصنامهم و يقول: ماعسى أن تفعله هذه الاصنام الحرساء المصنوعة من الخشب اوالحجر أوتجلبه من البركة؟.

وكانوا يعتبرون ذلك ضربةً قاسيةً توجّه اليهم لأنّهم كانوا يعتبرون عبادة الأصنام جزءاً مما ورثوه من آبائهم وأجدادهم وأمجادهم التي يفاخرون بها.

ولكن الأهمّ من ذلك كله أنّهم وجدوا أنّ تعليمات الدين لا تتلائم مع مصالحهم الطبقيّة ومنافعهم الضيّقة فقد كان زعماء قريش لايريدون بحال من الاحوال— أن يتنازلوا عن تسلطهم و استثمارهم للطبقة الفقيرة الكادحة والمحرومة، و امتلاكهم للرقيق —العبيد— الذين كانوا يعاملونهم بمنتهى القسوة والوحشيّة وكذلك كان أصحاب الأموال من المرابين يريدون إبقاء النظام الربوي ليمتصّوا مايحلوهم من دماء الناس الضعفاء وكذلك كان جبابرتهم وطغاتهم والمتكبرون منهم يسمعون إلى إبقاء سيطرتهم على الناس ونهب أموالهم والاعتداء على حرماتهم وإرهابهم بقوة السيف والسنان.

وهكذا نجد أنّ من الطبيعي لهذه الرسالة الجديدة التي أعلنت منذ ساعتها الأولى مخالفتها واستنكارها لكل هذه التجاوزات على الحقوق الإنسانية والظلم الصريح الذي يرتكز عليه النظام

الاجتماعي الفاسد كله، من الطبيعي ان تواجه مخالفة شديدة وعداء مستحكما من الطبقة المتنفذة والمنتفعة من استمرار النظام القديم.

وتطالعنا بين أفراد هذه الطبقة المخالفة للدين الجديد أسماء شخصيّات قرشيّة معروفة مثل: أبي جهل، أبي سفيان، أبي لهب، الأسودبن عبد يغوث، العاص بن وائل وعتبة و شيبة ابني ربيعة، الوليد بن المغيرة، عقبة بن أبي معيط.

ولقد استعمل هؤلاء وأتباعهم كل الأساليب اللا إنسانية، من تهم رخيصة وسبّ مقذع وحصار اقتصادى و مالي، وتعذيب نفسي ضدّ محمّد (صلى الله عليه و آله وسلّم) وأتباعه المسلمين، **وهنا نشير إلى بعض الأمثلة من ذلك:**

١— بينا رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلّم) ساجد وحوله ناس من قريش و ثم سلى بعير فقالوا من يأخذ سلى هذا الجزور اوالبعير فيقذفه على ظهره؟ فجاء عقبةبن ابى معيط فقذفه على ظهر النبى(ص) و جاءت فاطمة (عليها السلام) فاخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك...[١]

٢— عن طارق المحاربي قال: رأيت النبيّ (صلى الله عليه و آله وسلّم) في سوق ذى المجاز بمكّة، و هو يقول للناس: **يا أيّها الناس قولوا لاإله إلاّ الله تفلحوا** و يدعوَ الناس إلى الإسلام و توحيد الله فيما كان أبولهب يتبعه و يرميه بالحجارة وقد أدمى رجليه، و هو يقول: «أيها الناس: لا تطيعوه فانه كذّاب»[٢].

١— إعلام الورى للطبرسي ص ٤٧.

٢— المناقب لابن شهرآشوب ج ١ ص ٥٦.

وبالاضافة إلى النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) فقد تعرض أصحابه وأتباعه الذين أسلموا على يديه و آمنوا به... إلى أبشع تعذيب وحشيّ لاإنسانيّ.

٣— روى عن جابرانّ رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلّم) مرّ بعمّار وأهله يعذبون في الله، فقال: «**ابشروا آل عمّار فإنّ موعدكم الجنة**[١] يقول ابن الأثير: كان المشركون يعذبون عماراً وأباه وأمّه أشدّ العذاب و ذلك بأن يخرجوهم الى الأبطح إذا حميت الرمضاء— الارض— يعذبونهم بحرّ الشمس الملتهبة.

و لقد قتلت (سُمَيّة). أمّ عمّار وهي أول شهيدة في الإسلام، بحربة ضربها بها أبوجهل وقتلها كما قتل ياسر (والد عمّار) هوالآخر تحت تعذيب المشركين.

وشدّدوا العذاب على عمّار نفسه بالحرّتارة و بوضع الصخرة على صدره أخرى وهم يريدون منه أن يسبّ محمّداً (صلّى الله عليه و آله وسلّم) و يظهر الكفر وهو يمتنع عن ذلك حتى أجابهم إلى ذلك تقية منهم و إن كان قلبه مطمئنا بالإيمان كما تقول الآية و بذلك نجا من الموت الذي كان ينتظره على أيديهم[٢].

٤— و من جملة من عذّب (بلال) الحبشي و كان عبداً قد أسلم على يد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و كان مولاه إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على صدره و يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أوتكفر بمحمّد وتعبد اللاّت و العُزّى،

١— اعلام الورى ص ٤٨.
٢— الكامل لابن الاثير ط بيروت ج ٢ ص ٦٧.

وكان بلال صامداً صابراً في تحمل كل ذلك العذاب والتهديد ولايجيب إلاّ بكلمة واحدة يكرّرها و يقول: أحد أحد.[١]

وإننا لنأسف من أنه لايسعنا في هذه المقالة الموجزة أن نستوعب جميع القصص المحزنة والصور الفريدة التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) والمسلمون في صدرالإسلام وأيامه الأولى، ولكننا يمكن أن نقول: إنّ المشركين وأعداء الإسلام لم يدعوا وسيلة إلاّ واستعملوها، لمناهضة الإسلام وحربه والوقوف في وجهه ويمكن الاشارة بصورة إجماليّة إلى هذه الوسائل والأساليب:

١ــ الضغوط الاقتصادية: لقد شنّ المشركون حرباً اقتصاديّة شديدة على النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) وعشيرته وأتباعه المسلمين، فحرموا جميع أنواع المعاملات التجارية معهم، و كان ذلك سبباً لأزمة شديدة وحصارٍ أليم للنبيّ و من معه.

٢ــ الحرب النفسيّة: وكانت تتمثل في قطع الروابط الاجتماعية بالمسلمين وعدم الزواج معهم، بالإضافة الى اتهام النبيّ (صلى الله عليه و آله وسلّم) بالسحر تارة والكذب أخرى، لاضعاف الروح المعنوية لدى المسلمين.

٣ــ التعذيب الجسدى: الّذى كان هوالآخر من الأساليب الوحشيّة اللا إنسانيّة التي استعملتها «قريش» للقضاء على النهضة الجديدة بقائدها وأتباعها، و قد أدّى هذا الإيذاء

١ــ المصدر السابق ج ٢ ص ٦٦.

والتعذيب الى استشهاد عدد من المؤمنين في صدر الإسلام.

ولكن بالرغم من كل هذه الأساليب المقيتة التي اتبعها المشركون في حربهم و مناهضتهم للإسلام والنبي والمسلمين... فإنّ الإسلام استمر في تقدمه وانتشاره، كما استمر النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم) في دعوته الناس إلى طريق الحق المستقيم و كذلك استمر المسلمون في جهادهم وثباتهم على دينهم القويم.

ولقد سلكوا هذا الطريق المجيد الملئ بالفخر وتحمّلوا المشاكل الكثيرة والإيذاء والآلام والشقاء والصعاب والهجرة والتشريد... كلّ ذلك حرصاً على دينهم وفي سبيل عقيدتهم وإيمانهم.

و من الأمور المهمّة التي نستفيدها من حياة و تاريخ المسلمين في صدر الإسلام أننا خلافا لمزاعم وادعاء أعداء الإسلام لانجد تقدم الإسلام و انتشاره معتمداً على السيف والحرب بل انه خلال مدة ثلاث عشرة سنة عانى المسلمون فيه أشد أنواع القسوة والتعذيب من أعدائهم، كان الاسلام يقاوم ذلك كله و يتقدم و ينتشر.

هجرة النبيّ محمّد

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

بداية تاريخ وتحوّل

الهجرة من أجل الهدف

كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقرأ في قسمات وجوه أهل مكّة ما تكنّه قلوبهم له من تكذيب... و ما سيزرعون في طريق الإسلام من عوائق وعقبات.

و كان يعلم أن هؤلاء القوم الغارقين في الجهالات والخرافات، لايمكن لهم أن يتركوا ماهم عليه بسهولة و يسر، ولكي يتم إخراجهم من الظلمات إلى النور، لابد من صراع عنيف تبذل فيه جهود جبّارة تصل الى حد التضحية والفداء.

وعلى أساس من هذه النظرة البعيدة... التي تعي مايحمله الغدمن صعوبات... و بمثل هذه البصيرة النافذة إلى كل زوايا المستقبل البعيد... نهض النبيّ الأعظم(ص) بأعباء الرسالة.

وأقام (ص) بمكة بعد بعثته ثلاثة عشر عاماً[1] يتحمل فيها ألوان المشقات ويحاول التغلب على المصائب التي تواجهه، ولكن

١ــ الكامل لابن الأثير ط بيروت ١٣٨٥ هـ ج٢ ص ١٠٨.

أعداء الإسلام لم يكفوا عن إيذائه بل و محاولات القضاء على رسالته بشتّى الطّرق والأساليب... و كان هذا الوضع يستدعي نقل مركز القيادة من مكة إلى مكان آخر يتوفرفيه الجوّ المناسب الذى يحفظ للرسالة استمرار نموها وانتشارها.

يثرب... الأرضيّة الصالحة

في أحد مواسم الحجّ التقى النبىّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في المسجد الحرام بعدد من كبار «الخزرج» فدعاهم إلى اعتناق الإسلام الذي هو دين السلام العادل والأخوة المثلى... و وجد هذا النفر من الخزرجيّين في الإسلام ضالّتهم المنشودة... فقد كانوا يعانون الكثير من صراعهم المزمن مع «الأوس».

و كان هذا الصراع قد بعث في هذه الفترة بالذات من جديد فاستجابوا لدعوة النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بكل إخلاص... وطلبوا منه أن يرسل معهم من يعلمهم أمور دينهم، فأوفد معهم مصعب بن عمير(رض).

وهكذا بدأت الدعوة إلى الإسلام تنتشر في يثرب... وأخذ أهلها يدخلون في دين الله أفواجاً. و كان من العوامل الرئيسة والفعالة في اعتناق هؤلاء لهذا الدين الجديد آيات الله البيّنات التي تتلى عليهم. و كتب مصعب إلى النبىّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) يخبره بإسلام علية القوم من الأوس والخزرج.

بعد هذا التقى النبى الأعظم(ص) بمجموعة كبيرة من أهل

يثرب قدموا لأداء فريضة الحجّ... التقى بهم سرّاً فبايعوه على أن يحموه و يدافعوا عنه إذا قدم إليهم كما يدافعون عن نسائهم وأولادهم[١].

هذه البيعة المصيرية في تاريخ الرسالة الإسلامية كانت دليلا على أن غرسة الإسلام بدأت تؤتي أكلها...

المؤامرة

كان الظّلام مايزال مخيّماً عند ما طرق سمع القريش النبأ الصاعقة... نبأبيعة اليثربيين للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعاهدتهم له...

ولأجل تطويق هذا الحادث والقضاء على الانتصار الذى أحرزه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تهافت شيوخ الشرك الى دارالندوة.

و بعد أخذ وردّ و إبرام و نقض قرروا أن تنتدب كل قبيلة رجلاً... لينقض هؤلاء المنتدبون على بيت النبيّ ليلاً و يُقتلوه... و بالقضاء عليه يتم القضاء على دعوته و ينتهى كل شيء[٢].

هذا ما أراده الكفار، ولكنّ الله سبحانه أراد شيئاً آخر... فأطلع نبيه على مايبيت له القوم وأمره أن يغادر مكّة ليلاً[٣].

١ــ اعلام الورى ط النجف الأشرف ١٣٩٠ ص ٥٥ــ ٦١.
٢ــ تاريخ الطبري ج٣ ص ١٢٢٩، اعلام الورى ص ٦١ــ ٦٢.
٣ــ تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٣١، بحارالأنوارج ١٩ ص ٦٠.

الاخلاص والفداء

وأودع النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ماكان عنده من أمانات الناس عند عليّ عليه السلام ليردّها إلى أصحابها و قال له إنه مغادر مكة وأمره أن ينام على فراشه لكى لايتنبه الأعداء لمغادرة النبيّ المنزل... وامتثل الإمام سلام الله عليه أمر رسول الله و نام على فراشه راضياً أن تهدّد سلامته كل الأخطار التي كانت تهدّد حياة الإسلام ممثّلاً بالنبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

لقد كان موقف الإمام علىّ عليه السلام هذا خالصاً لوجه الله و غاية في الأهميّة بحيث أن الله سبحانه ذكره في القرآن الكريم وأثنى عليه[1].

إلى غارثور

ولم يطبق الظلام إلاّ و بيت النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) محاصر...وأعداء الله المنتدبون كل من قبيلة يظنون أنّهم أحكموا الخطة...

ههنا بيت الرّسول يحيط به نفر سوء... و داخل البيت عليّ (عليه السلام) يبيت حيث اقتضت المصلحة وجاءه الأمر... و خارج البيت ثعابين يا للشيطان إلى أيّ حدّ استطاع إغواءها!! حتى أنها أصبحت بعد رسم الخطة تنتظر بفارغ الصبر نبأ مقتل سيّد

١ــ بحارالأنوارج ١٩ ص ٧٨.

المرسلين (صلّى الله عليه وآله وسلّم.)

و إلى جانب هذه المشاهد الثلاثة كان ثمة مشهد رابع...

ها هو رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) متّجهاً إلى غار ثور... عبر طريق خاصّ بعد أن غادر البيت و هو يقرأ آيات من سورة يس... و اصطحب معه في رحلته أبابكر[١].

***

وجرّد أولئك النفر المشؤومون الّذين كانوا يحاصرون البيت سيوفهم... و هجموا باتجاه فراش النبيّ ولكم كان هول الصدمة قاسياً حين رأوا عليّاً على فراشه(ص).

وأسقط في أيديهم... و باضطراب سألوا: «أين ابن عمّك محمّد؟!! قال علىّ(ع): **اجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم له: اخرج عنا فقد خرج عنكم فما تريدون؟...**»[٢]

وحين رأت قريش أن كل جهودها قدذهبت سدى شعرت بأنها طعنت كبريائها في الصميم فحاولت جاهدة العثور على رسول الله... ولكن لم يحالفها النجاح.

إلى يثرب

بقي النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في غار ثور ثلاثة أيام. ثم اتجه إلى يثرب... و كانت هذه الفترة كافية لزرع اليأس فى قلوب

١ــ تاريخ الطبرى ٢ ص ١٢٣٤.

٢ــ اعلام الورى ص ٦٣.

الكفار ليكفوا عن ملاحقته. والتاريخ يذكر لنا أن رجلاً مكّيّاً يدعى «سراقة بن مالك» كان قد تتبع أثر الرسول ولكنه مرّ بصعوبات وعثرت به الفرس واسقطته أرضاً مما دعاه لأن يتوب و يرجع[١].

وفي الثانى عشر من ربيع الأوّل وصل صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى منطقة يقال لها (قبا)[٢] وأقام فيها عدة ايام[٣] ينتظر قدوم الإمام عليّ عليه السلاّم... و لقد أصرّ أبوبكر على النبيّ أن ينتقل إلى يثرب لكنه عليه الصلاة والسلام علل بقاءه بقوله: ولست أريم حتى يقدم ابن عميّ وأخي في الله عزوجل، وأحبّ أهل بيتي اليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين.

والتحق الإمام عليّ بالنّبيّ بعد أن أدّى الأمانات إلى أصحابها، ولقد حاول الكفار أن ينالوا من الإمام ولكنه تصدى لهم فردّهم الله بغيظهم و وصل عليه السلام إلى قبا متعباً قد هدّه الأعياء واعتنقه الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) و بكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه، فلم يشتكهما بعد حتى قتل[٤]...

١ــ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٨٩، بحارالانوار ج ١٩ ص ٨٨.

٢ــ كامل التواريخ الجزء الثانى ط بيروت ١٣٨٥ ص ١٠٦ و قبا مكان يبعد عن المدينة المنورة عدة كيلومترات فقط.

٣ــ تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٤٥.

٤ــ كامل التواريخ ج ٢ ص ١٠٦

يثرب تنتظر

كان الناس في يثرب في انتظار القائد الأعظم وقد دبت في المدينة روح جديدة و أصبح وضعها غيرطبيعيّ... فكأنّما اليوم يوم عيد... العيون مسمرة في اتجاه قبا... والأعناق مشرئبة نحوها...

و يوم الجمعة... هذا اليوم المبارك ... دخل النبيّ الأكرم مدينته المنوّرة... فاكتظت الطلائع المسلمة عليه وتحلقت حوله... و يا لنعماها سعادة... سعادة هؤلاء الذين نعموا بلقاءِ سيّد المرسلين[١]...

هكذا كانت بداية قصة المدينة مع النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم...

وفي المدينة ركز (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أسس الإسلام وأرسى قواعده.

***

وبعدد دخول النبيّ يثرب تغير اسمها فأصبح (المدينة المنوّرة)[٢].

ثم إنّ هذه السنة التي غادر (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيها مكّة إلى المدينة أصبحت بداية للتار يخ الهجري... و ذلك لما تحمله الهجرة من معان جليلة... وسيظل بقاء الاسلام مديناً للمدينة...

١ــ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٩٤، بحارالأنوارج ١٩ ص ١٢٣.

٢ــ معجم البلدان مادة يثرب، مجمع البحر ين مادة يثرب.

وستظل جهود رسول الله والقلوب التى لامس الإيمان شغافها... فوق كلّ الجهود... و من قبل كل هذا و من ورائه توفيق الله وتسديده...

وَيَأْبَى اللّٰهُ إِلاّٰ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكٰافِرُونَ

درس من الهجرة

والآن... و بعد أن مضى على هذه الواقعة العظيمة أربعة عشر قرناً... دعنا نتصفح التاريخ لنتأمّل الفعّاليّات والمشاكل التي بذلت وواجهت المسلمين في سبيل الهجرة من مجتمع لايمكنهم أن يعبروا فيه عن آرائهم بصراحة... ولا أن يمارسوا معتقداتهم بحرّيّة...

الدرس الذي يجب أن نستفيده أن هؤلاء المسلمين الذين نجوا من شرّ قريش... وجوّ مكة المليء بالمتاعب والمصاعب وانتقلوا الى جوّ هادىء... لم يركنوا إلى الدعة والاستقرار... ولم يلجأوا إلى مامرّبهم من نكبات في أمسهم محاولين أن يجعلوه رصيداً يكفيهم عناء حمل الرسالة... بل استمروا في الدعوة الى الله و الى دينه ليكوّنوا المجتمع الذى اراد الله أن يكون.

ولقد كانت جهودهم المتلاحقة... و مواقفهم الفدائية... هى السرّ الذي يكمن وراء التغير السريع العجيب الذي طرأ على حياتهم وأنالهم درجة رفيعة لاينالها إلا كلّ ذي حظّ عظيم... ولاغرور أن استطاع المسلمون في الصّدر الأوّل أن يحققوا هذه الانتصارات. لاغرور في ذلك مادام قائدهم هوالنبيّ الأعظم(ص)

إن من الضروري ان نغذي أبناءنا ونربيهم على أن عزة المسلمين الأوائل إنما كانت في ظلّ الإيمان والعمل.

وإذا نريد العزة فليس لها إلاّ هذا الطريق، أما ماعداه فإنه يجلب عزّاً ظاهراً لايلبث أن يتبدد و يزول.

المجتمع الفاضل:

يولد المجتمع الفاضل و يتكامل في ظل الانسجام والتلاؤم والثقة المتبادلة بين الأفراد.

و مجتمع كهذا تخيم عليه السعادة و يغمره الهناء والسرور... ولقد مهد الإسلام لبناء المجتمع الفاضل الذي يريد، و من أجل ذلك تخطى كل الفوارق العرقيّة والعنصريّة وحواجز اختلاف اللغات، وقرّر أن جميع الناس سواسية كأسنان المشط. و جعل المقياس الوحيد هوالتقوى.

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللّهِ أَتْقاكُمْ»[1]

و «الأخوّة الإسلاميّة» هي خير تعبير عن تكاتف المسلمين وتضامنهم...

قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»[2].

١ــ الحجرات آية ١٣.

٢ــ الحجرات آية ١٠.

أطروحة الأخوّة الإسلاميّة
في المدينة المنوّرة

المجتمع الفاضل:

يولد المجتمع الفاضل و يتكامل في ظل الانسجام والتلاؤم والثقة المتبادلة بين الأفراد.

و مجتمع كهذا تخيم عليه السعادة و يغمره الهناء والسرور... ولقد مهد الإسلام لبناء المجتمع الفاضل الذي يريد، و من أجل ذلك تخطى كل الفوارق العرقيّة والعنصريّة وحواجز اختلاف اللغات، وقرّر أن جميع الناس سواسية كأسنان المشط. و جعل المقياس الوحيد هوالتقوى.

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللّهِ أَتْقاكُمْ»[1]

و «الأخوّة الإسلاميّة» هي خير تعبير عن تكاتف المسلمين وتضامنهم...

قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»[2].

١ــ الحجرات آية ١٣.

٢ــ الحجرات آية ١٠.

ابتكار في ميدان الأخوّة الإسلاميّة:

بعد أن دخل النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المدينة و بنى المسجد الذي هو في الواقع مركز الدعوة ومنطلقها على جميع الأصعدة، وجّه عنايته الشريفة إلى البنية الاجتماعية للمسلمين فأرسى دعائم الأخوّة بينهم.

و قد كان عامل الأخوّة هذا ينسي المهاجرين مرارة الهجران و يقدم لهم الدليل الحقّ على أنّهم وإن كانوا قدخسروا اهليهم و وطنهم إلاّ انّهم ربحوا إخواناً أوفياء أودّاء.

ولأجل هذا فلم يكتف النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالأخوّة العامّة التي تربط بين كلّ مسلم ومسلم... بل آخى بين كل اثنين منهم بعقد خاصّ... **و كان ان اختار لنفسه عليّاً(ع) أخاً و قال: هذا أخي**[1].

وقد امتدح القرآن الكريم الأخوّة الإسلاميّة ودلل على عظمة شأنها...

قال تعالى... **«وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءاً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً»**[1].

و ليست الأخوّة الإسلاميّة من وحي الخيال وإنما هى حقيقة واقعة ممزوجة بروح الإيمان، وتتضح آثارها و يتجلى الواحد تلو الآخر... و هذا هو الإمام الصّادق عليه السلام يوضح جانباً من هذه

١ــ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٠٤ــ ٥٠٥.

١ــ سورة آل عمران آية ١٠٣.

الآثار[١]: «المؤمن اخو المؤمن لأبيه و أمّه لأنّ الله عزوجل خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى في صورهم من ريح الجنة فلذلك هم إخوة لأب وامّ».

و ان من جملة ماتقتضيه الأخوّة الإسلاميّة الصادقة هو أن تحبّ لأخيك ماتحبّ لنفسك وأن تمد له يدالعون عن أيّ طريق أمكنك ذلك...

وليست من الاخوة الإسلاميّة بل إنّه لبعيد عنها بعد ما بين الخافقين أن تبيت شبعاناً مرتوياً... يجللك اللباس الفاخر في حين أنّ إخوة لك في الدين يعانون الجوع والعطش ولايجدون لأسمالهم البالية عوضاً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: **من حقّ المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته و يواري عورته و يفرّج عنه كربته و يقضى دينه فإذا مات خلفه في أهله و ولده**[٢].

والأخوّة الإسلاميّة من وجهة نظر الإسلام أقوى وأوثق من جميع العلائق... حتى النسبيّة منها...

قال الله تعالى «**لاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ**»[٣].

ولقد كان لهذا المبدأ العظيم الذي عنى به النبيّ صلّى الله

١ــ أصول الكافي ج ٢ ص ١٦٦ــ ١٦٧.

٢ــ الكافي ج ٢ ص ١٦٩.

٣ــ المجادلة آية ٢٢.

عليه وآله أبعاده الكبيرة وآثاره الإنسانيّة الهامّة... فنتيجة له أصبح سلمان الفارسي و بلال الحبشي أخوين على قدم المساواة... و من أقرب أصحاب الرسول القائد «ص» إليه...

ثم إنّ هنالك عداوات متأصلة و عميقة الجذور... وتجمعات متفرقة متحللة... كان هذا المبدأ سبباً في إصلاحها وإحكام بنائها... و غرس روح التحابّ والتآلف والتعاضدو التكاتف فيها حتى أصبحت البيئة التي حظيت بنعمة هذه الاخوة كأسرة واحدة كل واحد من أفرادها يشاطر الأخر أفراحه واتراحه...

و قد قلنا فيما سبق أنّ أخوّة الإسلام ليست مسألة روتينية و سنتناول ذلك الآن بشيء من التفصيل:

يقرّر الإسلام أنّ الأخوّة فيه مسؤولية عامّة... بمعنى انّ على كل إنسان أن ينفتح على مشاكل الآخرين و يسهم في حلّها بمقدار مايستطيع، ولايصح للفرد المسلم أن ينغلق على نفسه و يعيش لهمومه و شؤونه الخاصة دون أن يشعر بالآخرين و ملابسات حياتهم... و من أهمّ مجالات هذه المسؤولية العامة مايلي:

١— التعاون الاقتصاديّ: و هو عبارة عن سدّ الاحتياجات الاقتصاديّة بمختلف أنواعها... الصحيّة والثقافية... و تهيئة المسكن... و وسيلة الكسب... وقد ورد بيان هذا المجال في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة... ضمن نظم اجتماعية في غاية الدقة والشمول.

٢— التعاون التربوي... و هو عبارة عن أن لايدخر المسلم وسعاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وإرشاد الآخرين

وهدايتهم... و هذا المجال جم الفائدة بل لا تستقيم الحياة بدونه أبداً... ثم إنه في الواقع نوع من حبّ الخير للناس.

ولشديد الأسف نرى أنّ المسلمين قدتركوا هذا الواجب العظيم... وأكبر الظن أنّ السبب في ذلك أوهام من نسج الخيال.. جعلتهم يعتقدون أنهم لايملكون القوة ولايتمتعون بالحماية التي تتيح لهم أداء هذا الواجب.

نعم ترك المسلمون هذه السّنة المباركة... فلم يحولوا دون تفشي الآثام والشرور... ولم يدعوا إلى إعمال الخير و يرغبوا إليها... فكان أن ذبلت الروح التربوية للأخوّة الاسلاميّة وذابت... وفقدت من جرّاء ذلك كل الخصائص التي تبعث في هيكل المجتمع الحياة.

الاخوّة الاسلاميّة في عصرنا الحاضر:

إن المسلمين في العصر الحاضر بحاجة إلى التآخي والاتحاد اكثر من أيّ عصر مضى و ذلك لأنّ هذه المنطقة من العالم والتي يطلق عليها اسم العالم الإسلاميّ منطقة غنيّة جدّاً بثرواتها الطبيعيّة إن لم نقل أنّها المنطقه الوحيدة في العالم التي تتمتع بهذه الخصائص، و قد لفتت كثافة الثروات الطبيعية التي منّ اللّه سبحانه بها على وطننا الإسلاميّ انظار المستعمرين من أعداء الإسلام... فأصبح همّهم الوحيد خيرات هذه المنطقة... الأمر الّذى جعلهم يخططون لتفرقتناوالقاء الفتن بيننا لأنهم يعلمون أنّ اختلافنا وتناحرنا يفتح

لهم الباب على مصراعيه ويمكنهم من نهب خزائن نعمة الله في بلادنا.

إنّ علينا أن نكون أذكياء متيقّظين لنقطع الطريق على كلّ المحاولات التي تستهدف إبقاءنا أمّة ممزّقة...

والخطوة الأولى التي لابد لنا منها هي بناء الأخوّة الإسلاميّة التي أرسى دعائمها النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ومهما عظمت قوة المسلمين فإنّهم سيظلون بحاجة إلى التآخي والاتحاد، وبما أنّ المسألة على هذا الجانب من الأهميّة فإنّ من الواجب أن يدرس مبدأ التآخي في الله في مدارسنا بشكل يستهوي الطلاب.

و شيء جيّد جداً لو يدرس هذا المبدأ السامي في المراحل الدراسيّة الثانوية والجامعية و يطبق عملياً تحت إشراف مدرسين أكفاء و إلى جانب واجب المدرسة... فإن على البيت أن ينشيء طفله نشأة اسلامية صحيحة... فيحسسه بآلام الآخرين بالمستوى الذي يتناسب مع مستواه.

وليكن شعارنا:

نحو أخوّة إسلاميّة جديدة...

وليكن عملنا في طريق احقاق وحدة المسلمين وتآخيهم وصيرورتهم يداً واحدة على الكفار في ارجاء العالم.

و قد ظهر نموذج من تأثير الاخوة الاسلامية في انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة قائدها العظيم الإمام خميني حينما رفض

الشعب المسلم الايراني في ظل التعاون والتآخي حكومة الطواغيت و صار يعيش تحت لواء الاسلام و خرج عن سلطة الشرق والغرب منادياً بشعار التوحيد والله اكبر...

نبيّ الرّحمة:

بعث النبيّ الاعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) رافعا علم السّلام والأخوّة حتى استطاع في النهاية و عن طريق شعار «**وَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ**»[١] أن يحكم دعائم السّلام العالميّ والتعايش السلميّ الصحيح لاالمزيف.

الإسلام... استطاع أن يجتاز مشاكل الصراعات الطبقية والعنصريّة التي كانت عاملاً محرّكاً في كثير من الحروب... و قدم لهذه المشاكل أفضل الحلول... أمّا دنيانا اليوم رغم ما فيها من مظاهر التمدّن، فإنّها لم تستطع حتى الآن أن تجدلها مخرجاً من هذه الأزمة التي تهدّد وجودها... ولذلك نرى نيران الحروب دائمة الضرام.

ولقد بلغ السلم والعدالة في الإسلام درجة من الوضوح والصراحة بحيث إنه دعي «أهل الكتاب»[٢] إلى الاتحاد، قال تعالى:

١— سورة الأنبياء ١٠٧.

٢— أهل الكتاب اصطلاح يراد به أصحاب الأديان السّماوية، وانما أطلق عليهم ذلك لأنّ لكل اتباع دين منهم كتاباً منزلا من الله سبحانه.

الجهاد في الإسلام

نبيّ الرّحمة:

بعث النبيّ الاعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) رافعا علم السّلام والأخوّة حتى استطاع في النهاية و عن طريق شعار «**مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ**»[1] أن يحكم دعائم السّلام العالميّ والتعايش السلميّ الصحيح لاالمزيف.

الإسلام... استطاع أن يجتاز مشاكل الصراعات الطبقية والعنصريّة التي كانت عاملاً محرّكاً في كثير من الحروب... و قدم لهذه المشاكل أفضل الحلول... أمّا دنيانا اليوم رغم ما فيها من مظاهر التمدّن، فإنّها لم تستطع حتى الآن أن تجدلها مخرجاً من هذه الأزمة التي تهدّد وجودها... ولذلك نرى نيران الحروب دائمة الضرام.

ولقد بلغ السلم والعدالة في الإسلام درجة من الوضوح والصراحة بحيث إنه دعي «أهل الكتاب»[2] إلى الاتحاد، قال تعالى:

١— سورة الأنبياء ١٠٧.

٢— أهل الكتاب اصطلاح يراد به أصحاب الأديان السّماويّة، وانما أطلق عليهم ذلك لأنّ لكل اتباع دين منهم كتاباً منزلا من الله سبحانه.

«قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ اَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللّهَ وَلاٰنُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً...»[١]

و عندما هاجر المسلمون إلى المدينة ورفرفت راية النصر فوق رؤوسهم، قدمت الى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) طلبات إبرام صلح من بعض الجهات فقبلها... والشاهد لذلك عقود الصلح التي أبرمت مع عدّة طوائف من اليهود في السنة الأولى للهجرة[٢].

من هذا و من غيره يستطيع الباحث أن يدرك أنّ الإسلام يريد للبشريّة الدعة والاستقرار... ولذا فهو يركز على الصلح والتعايش الاجتماعي... ولذلك أيضاً قدم في هذا الميدان النظم والقوانين الكفيلة— ان طبقت بدقة— بإيجاد مثل هذا المجتمع الذي أصبح في عصرنا الحاضر حلماً جميلاً يدغدغ الخيال، والذي يجري في الجمهورية الاسلامية في ايران —منذ أشرقت الثورة الاسلامية فيها— إنما هو محاولة لوضع اللّبنة الأولى للمجتمع الإسلامي الذي نأمل ان تتجّه جميع الطاقات الاسلاميّة لتحقيق هذا المجتمع الأصيل.

أهداف الجهاد:

الإسلام مدرسة حيّة وعالية وهو يتكفل بإصلاح النظم الاجتماعيّة والاقتصاديّة بطريقته الخاصّة...

والإسلام ليس كقوانين الروم القديمة واليهود والناز ييّن...

١— سورة آل عمران آية ٦٤.

٢— اعلام الورى الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٠ ص ٦٩.

التي كانت مختصّة بمجتمع معيّن أوعنصر معين...

بل إنّ الإسلام دين لجميع أهل الأرض... والمسلمون ملزمون بوحي من تعاليم دينهم أن يعملوا على إرساء قواعد الصلح والعدل وأن يبذلوا كل ما في وسعهم لإنقاذ الشعوب المستعبدة مما تعاني من ظلم و حرمان...

إنّ على المسلمين أن يعملوا على توعية العالم وهدايته الى طرق الخير التي تؤمن له حياة حرّة كريمة.

و من هنا يجب أن يكون واضحاً أنّ المجاهدين المسلمين ليسوا حين جهادهم— بصدد احتلال بقعة من الأرض وضمّها إلى العالم الإسلاميّ... كما أنّهم ليسوا بصدد قلب نظام حكم او ماشابه ذلك...

ان الجهاد سعي مخلص لاتشوبه شائبة... جهد مشكور يبذل فى سبيل الله و تحرير عباده... لترسيخ السلام وإخماد نار الفتن.

هذا الهدف الكبير... وهذه التعليمات السامية من شأنها ان تقضي على الأنانيّة وحبّ الذات والروح النفعيّة التي كلفت البشرية الكثير الكثير على مرالتاريخ.

والفطرة الإنسانيّة تحكم بأنّ الأعضاء الفاسدة في المجتمع أياً كانت امتيازاتها التي أعطتها لنفسها يجب أن تستأصل... لتؤمن الأرضيّة الصالحة لسعادة الناس ونجاتهم.

ولاشك أنّ كلّ متعطّش إلى العدالة والحرّيّة بمفهومها الصحيح يبادر إلى أداء واجبه في هذا المضمار و يقف مؤيّداً كلّ

خطوة تبذل في هذا السبيل.

ما أجمل كلام الله:

«... وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ»[١].

ليست الحرب في الإسلام غاية... ولا هدفاً نهائيّاً... وإنّما هي وسيلة ردع للأقوياء الّذين لايسمعون لغير القوّة صوتاً... وسيلة رفع للظلم عن المظلومين الذين لايملكون مايدافعون به عن وجودهم... ولهذا— أي لأنّهم عزل ضعفاء— أضحوا غنيمة الاستعباد والطغيان...

الجهاد فى الإسلام عمل جليل إيجابيّ لخير البشريّة... و هو أبعد مايكون عن السلبيّة والشرّ والدّمار.

وأقرأ معي ماقاله ذلك المسلم حين دخل على رستم القائد الإيراني فخاطبه بالعبارة التالية: (الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، و من ضيق الدنيا إلى سعتها، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم اليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه و تركناه وارضه يليها دوننا و من أبي قاتلناه أبداً...)[٢].

١— البقرة ٢٥١.

٢— تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٧١.

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

أصبح واضحاً مما تقدم أنّ من واجب المسلمين أن يتصلوا بالشعوب الأخرى ويمتنوا علاقاتهم بها. خصوصاً تلك الشعوب التي تعاني من أوضاع اجتماعيّة متداعية. وقلنا إنّ من واجب المسلمين ذلك كي يمكنهم عن هذا الطريق عرض ماجاء به الإسلام من نظم رائعة منبثقة عن عقيدة متينة، تستوعب الكون والإنسان والحياة...

وفي كل الصراعات التي خاضها المسلمون مع أهل الكتاب لم يسجل لنا التاريخ أنّهم أجبروا أحداً على اعتناق الإسلام...

فلقد كان باستطاعة أهل الكتاب أن يعيشوا في ظلّ الدولة الإسلاميّة بمجرد أن يقبلوا شروط الصلح التي تعرضها هذه الدولة... وفي المقابل تؤمن لهم الحماية التامة التي تؤمنها للمسلمين.

ولقد تعهد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في صلح الحديبية بأنه إذا أسلم أحد من أهل مكة ثم جاءه الى المدينة... فإنه سيرجعه الى مكّة بشرط «ان المسلمين بمكة لايؤذون فى اظهارهم الاسلام ولايكرهون ولاينكر عليهم شيئ يفعلونه من شرائع الإسلام» فقبلت قريش ذلك[1] وقد التزم (ص) بتعهده هذا و عمل به.

وفي فتح مكة ترك النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قريشاً على سجيتها ولم يحمل أحداً على اعتناق الإسلام. فالعقيدة لا تفرض بل لايمكن أن تفرض من الخارج... كل ما في الأمر أن المجال كان مفسوحاً أمام الجميع لمعرفة هذا الدين الجديد والاطلاع على تعاليمه.

١ــ البحار ج ٢٠ ص ٣٥٠.

وقد أمر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المسلمين أن لايقتلوا أحداً في مكة باستثناء عدة أشخاص كانوا يؤذون النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم).[١]

و عندما كان الكفار يطلبون الأمان من الرسول كان(ص) يعطيهم ما أرادوا ليكون إسلامهم فيما بعد عن بحث و تحقيق... وليس بدافع الخوف على أنفسهم.

و مثالاً على ذلك صفوان بن أمية و كان أيضاً شديداً على النبي(ص) فهرب خوفاً إلى جدّة فقال عمير بن وهب الجمحي: يا رسول الله إنّ صفوان سيّد قومي و قد خرج هارباً منك فآمنه. قال هو آمن وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه، فخرج بها عمير فأدركه بجدة فأعلمه بأمانه و قال: إنه أحلم الناس و أوصلهم وأنه ابن عمك وعزّه عزّك وشرفه شرفك. قال: إنّي أخافه على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك، فرجع صفوان وقال لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إن هذا يزعم انك آمنتني. قال: صدق. قال: اجعلني بالخيار شهرين قال: انت فيه أربعة أشهر، فأقام كافراً وشهد معه حنيناً والطائف ثم أسلم[٢].

وهكذا يصبح واضحاً أن الحرب في الإسلام إنّما هي لأولئك الذين عرفوا الحقّ جيّداً وأدركوه بجلاء... ولكنهم مع ذلك كله يحاربونه و يحاولون القضاء عليه، الامر الذي يعتبر أيضاً قضاء على سعادة الآخرين.

١ــ اعلام الورى ص ١١٠.

٢ــ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٨ــ ٢٤٩.

إن الإسلام لم يشرع تجريد السيف إلاّ لإطفاء الفتن ولإنقاذ الشعوب المضطهدة ولإيجاد المناخ الملائم للتكامل البشري المنشود.

و انّ ايمان المسلمين الأوائل واستقامتهم خير دليل على أن الإسلام لم ينتشر بقوة السيف.

لقد كان مسلمو الصدر الأوّل للإسلام شديدي التعلق بدينهم وكانوا يواجهون جميع المشاكل التي تعترض مسيرتهم بروح عالية... وبصبر لامثيل له.

وأحد من هذه الطليعة بلال الحبشي الذي كان أبوجهل —بعد ماعلم باسلامه— يطرحه على الرمضاء المحرقة، و يضع فوقه صخرة كبيرة...

رمضاء محرقة... وثقل مؤلم وهجير لافح... وأبوجهل يزمجر: أكفر بربّ محمّد... فماذا كانت النتيجة...

وتصفع أبا جهل كلمات ينطق بها هذا الانسان المعذب... احد... احد... احد[1].

هذه صورة نقدمها عن الاستقامة التي كان المسلمون الأوائل يتحلون بها... فهل باستطاعة أحد بعد ذلك أن يقول إنّ الإسلام انتشر بالسيف؟ لقدفات أعداء الإسلام الذين يروّجون هذه الشبهة الواهية التي ظنّوا— بعد بحث و تفتيش— أنّها نقطة الضعف في الإسلام... لقد فاتهم أنّ هذا الدين الخالد انما ينتشر لمقومات

١— أسد الغابة ج ١ ص ٢٠٦.

وخصائص فيه... فهو دين الفطرة.... و هو دين العدالة... ثم هو دين شامل لجميع نواحي الحياة.

فهذا الدكتور غوستاف لوبون يعجب بمسيرة الإسلام وتقدمه السهل المحير وتعتبر ذلك من خصائصه[١]. و يقول كاتب مسيحي آخر:

قد كان للروابط التجارية والثقافية بين البلاد الإسلامية وغيرها أثر في انتشار يفوق الفتوح العسكرية بمراحل.

١ــ الحضارة الاسلامية والعربية ص ٨٠٧.

دوافع حروب النبيّ

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

وإحصاء القتلى فيها

إيديولوجيّة التفاهم الدولي:

كان النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لايلجأ إلى السيف إلاّ إذا تطلّبت الظروف ذلك، حيث تقف العقبات حائلاً دون تقدّم الدعوة الإسلاميّة... وحيث يكون الظلم والاستبداد... حينئذ يأتي دورالسيف ليزيل العقبات ويمحو الظلم... و يرفع راية الحقّ والعدالة...

هكذا كان صلّى الله عليه وآله وسلّم على العكس تماماً مما نعرفه من سيرة الأغلبيّة قادة العالم الذين يحاربون لأغراض توسعيّة ولامتصاص الثّروات الطبيعيّة والإنسانيّة...

أجل... إنّ الحروب التي وقعت في زمان النبي كانت تستهدف إعادة الحقّ إلى نصابه و إزاحة تلك الطبقة النفعية التي كانت تستعبد عبادالله، وتستهدف أيضاً إقامة حكم عادل منصف يحقق أطروحة التعايش الدولي المنشود.

وحرب كهذه هل يمكن أن تكون عدوانيّة لامشروعة؟! إنّ من البديهيّ أنّ الحرب ضروريّة لكل نبيّ لأنه ليس ثمت من

طريق آخر يمكنه سلوكه فيما إذا جُوبه وحُورب.

إنّ النبيّ عيسى عليه السّلام لم يجرّد السيف لأنّ مدّة نبوته كانت قصيرة ولم تكن الشروط مساعدة له على ذلك ... ولولا ذلك لكان هو أيضاً قد اتبع نفس الأسلوب الّذي اتبعه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليقتلع الفساد من الجذور.

و من هنا فإنّ حركات التبشير المسيحيّة تتعسف وتخبط حين تركز على أعداد القتلى في حروب النبي(ص) وتضخمها حسب ماتشتهي. وتؤكّد على أنّ هذه الحروب كانت ذات طابع إجراميّ، ونحن نرى أنّ الهدف من هذا الاعتساف شيئان:

الأوّل: إضعاف الرّوح الثّوريّة في الشعوب الإسلاميّة، الأمر الّذي ينتج عنه تقلص المدّ الإسلاميّ الذي يتسع يوماً بعد يوم.

الثاني: محاولة يائسة لتبرير الجرائم الفاضحة التي ارتكبتها الكهنوتية في محاكم التفتيش وفي الحروب الصليبيّة حين قتلت الملايين من الأبرياء.

وسنحاول هنا أن نبين باختصار دوافع حروب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وبعد ذلك نقدم ثبتاً بأعداد القتلى لكي تتضح الحقيقة... وليدرك القراء الأعزّاء فلسفة هذه الحروب و يطلعوا على الرقم العادي الذي يشكله عدد القتلى.

١ـ حرب بدر:

بقي النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع اصحابه بعد البعثة

ثلاثة عشر عاماً في مكة يتحمل الأذى في جنب الله متجنّباً إراقة الدماء... وفي النهاية اضطر(ص) إلى أن يغادر مسقط رأسه ويهاجر إلى المدينة المنوّرة... ولكن مع ذلك لم يكف الكفار عن ايذائه... وكانوا يعذّبون المسلمين العزل ولا يسمحون لهم بالهجرة من مكّة[١].

وكانوا أيضاً قد صمّموا على أن يضربوا على النبيّ وأصحابه حصاراً اقتصادياً شديداً. ومنعوا القوافل من نقل المواد الغذائية إلى المدينة... ولقد استمرّ هذا الحصار زمناً طويلا... مما أوقع أهل المدينة في ضائقة وعسر واضطرهم للسفر إلى سواحل البحر الأحمر للحصول على المواد الغذائية اللازمة[٢].

و كان أبوجهل قد أرسل رسالة شديدة اللهجة إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهدده فيها بغزوه والهجوم عليه[٣].

وهنا نزلت الآيتان الكريمتان:

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»[٤].

١ــ بحارالأنوار ج ١٩ ص ١٤٣.

٢ــ محمّد ستاره‌ای كه دَرْ مكّه دَرَخْشيد (فارسيّ) ص ٩٢.

٣ــ بحارالأنوار ج ١٩ ص ٢٦٥ــ ٢٦٦.

٤ــ الحج ٣٩ــ ٤٠.

ولأجل الدّفاع عن الحقوق الحياتيّة للمسلمين... ولكي يفوت النبيّ الفرصة على المشركين، خرج لمواجهة قريش في العام الثاني للهجرة... وتمت المجابهة في بدر[١]، و مع أنّ المسلمين كانوا ثلث الكفار عدداً فقد أحرزوا النّصر بقوّة الإيمان وإرادة الله سبحانه[٢].

٢ـ حرب أُحد:

بعد أن قتل في بدر عدّة من المشركين أخذت قريش تعدالعدة للانتقام... وجهزت جيشاً إلى المدينة وفي منطقة أحد تمتّ المجابهة بين جيش الإسلام والكفر... ولأنّ فئة من المسلمين لم تلتزم بالخطة التي كان قد وصفها النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلم يربح المسلمون المعركة[٣].

٣ـ الأحزاب ـ الخندق:

في السنة الخامسة للهجرة ذهب عدّة من يهود بني النضير إلى مكّة لتحريض قريش على المسلمين... واغتنمت قريش الفرصة فجهّزت جيشاً جرّاراً من قبائل مختلفة.

ولكي يؤمن المسلمون الحماية الكاملة لعاصمتهم اضطروا

١ـ بدر منطقة بين مكّة والمدينة... وتبعد عن المدينة حوالى (١٧٠) كيلومتراً...

٢ـ الكامل ج ٢ ص ١١٨، اعلام الورى ص ٧٦.

٣ـ الطبقات القسم الاول ص ٢٥ـ ٢٩.

أن يحفروا خندقاً حول المدينة وكان جيش المشركين مؤلّفاً من عشرة آلاف رجل ولكنه هزم بعد أن قتل عليّ عليه السّلام قائده الشرس عمرو بن عبدود العامري وكان النصر بإذن الله للمسلمين[١].

٤ — بنوقريظة:

كان بنو قريظة[٢] قد عقدوا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) معاهدة صلح، ولكنهم نقضوها وحاربوا في وقعة الأحزاب إلى جانب قريش... ولم يرالنبي (ص) بدّاً من حربهم وذلك لخطرهم على الإسلام بعد أن نقضوا العهد وأصبحوا محاربين، وأصدرالنبي (ص) أمره للجيش بعد حرب الخندق بالتوجه إليهم... وحاصرهم المسلمون خمسة وعشرين يوماً، وبعدها استسلم الأعداء...

وجاءت الأوس تطلب من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الصفح عنهم، فسألهم عما إذا كانوا يرضون بتحكيم سعدبن معاذ الّذى هو من كبار الأوس فيهم فقبلوا... ظناً منهم أنّ سعداً سيعفو عنهم... ولكنه بدلاً من ذلك حكم بقتل المحاربين من رجالهم، وتقسيم أموالهم، وسبي الذراري والنساء.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لسعد: **لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله**،[٣] وقتل كل المحاربين منهم.

---

١ — الطبري ج ٣ ص ١٤٦٣ — ١٤٧٦.

٢ — من يهود أطراف المدينة.

٣ — الطبري ج ٣ ص ١٤٨٧ — ١٤٩٣.

٥ــ حرب بني المصطلق:

بنوالمصطلق فئة من قبيلة خزاعة. و كانوا قد ناؤوا المسلمين... وقد بلغ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تآمرهم على الإسلام فتوّجه إليهم بجيش من المسلمين ليحول دون تنفيذ مخططاتهم... وتمت المجابهة معهم في مكان اسمه المريسيع، وكان النصر للمسلمين. وقد وقعت هذه الحرب في السنة السادسة للهجرة[١].

٦ــ خيبر:

في حصون خيبر كانت تعيش طائفة كبيرة من اليهود يبلغون أربعة عشر ألفاً وكان لهم مع كفار قريش روابط اقتصادية وعسكريّة، و كان ذلك يهدّد أمن المسلمين وسلامتهم ولذلك هاجمهم المسلمون في السنة السابعة للهجرة، و بعد المحاصرة والحرب استسلموا للدولة الإسلاميّة[٢].

٧ــ مؤتة:

في السنة للهجرة الثامنة أرسل النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

١ــ الكامل لابن الأثيرج ٢ ص ١٩٢.
٢ــ الطبقات ج ٢ ص ٧٧ــ ٧٨.

الحارث ابن عمر إلى ملك بصرى[١] وحمله رسالة إليه، وعند ما وصل رسول النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى مؤتة قتل، وأمر النبي المسلمين بالخروج لحرب العدو و كانت المواجهة في مؤتة مع جيش هرقل ملك الروم المؤلّف من مأة ألف مقاتل من الروم وغيرهم. ودارت حرب شديدة طاحنة قتل فيها قادة الجيش الإسلامي زيدبن حارثة وجعفربن أبى طالب و عبدالله بن رواحة... ولم يستطع المسلمون مواصلة القتال فرجعوا إلى المدينة[٢].

٨ــ فتح مكّة:

في صلح الحديبيّة عقدت معاهدة بين المسلمين والمشركين، على المشركين بموجبها أن لايتعرضوا للمسلمين ولا لحلفائهم ولكنهم نقضوا هذه المعاهدة واتفقوا مع بني بكر على إبادة بنى خزاعة الذين كانوا من معاهدي المسلمين وحلفائهم، ولكي يضع النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حداً لهذه التجاوزات وضع خطة لفتح مكة ...و نفذت الخطة... ودخل المسلمون هذا البلد الشريف... و في بيت الله الحرام قال النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) خطابه التاريخيّ:...

«ألا لبئس جيران النبيّ كنتم: كذبتم وطردتم وأخرجتم وفللتم مارضيتم حتى جئتموني في بلادي فقاتلتموني، فاذهبوا فأنتم الطلقاء؟ فخرج القوم كأنما نشروا من القبور[٣]».

١ــ موضع بالشام.
٢ــ الطبقات ج ٢ القسم الاول ص ٩٢ــ ٩٤.
٣ــ اعلام الورى ص ١٠٤ــ ١١٢، بحارالأنوارج ٢١ ص ١٠٦.

وقد كان من آثار هذا التسامح والعفو العظيم أن أقبل المكّيّون على دين الله أفواجاً أفواجاً.

وفي هذا الفتح أمر النبيّ المسلمين أن لايحاربوا إلا دفاعاً عن أنفسهم ولكنه أباح دم ثمانية من المشركين... وقتل منهم أربعة... ولم تقع مجابهة إلا بين مجموعة من المسلمين كان يقودها خالدبن الوليد و مجموعة أخرى من المشركين كان يقودها عكرمة بن أبي جهل... و قتل فيها عدة أشخاص[١].

٩ــ حنين ــ هوازن:

مع أن قبيلة هوازن كانت تعلم أن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لاينوي التعرض لها فقد جهزت جيشاً لحرب الإسلام... فجهز النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) جيشاً قوامه إثنا عشر ألف مقاتل... و بعد التقاء الجيشين في وادي حنين هزم الكفار واستسلموا[٢].

و بعد هذا الحرب قصد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الطائف لحــرب قبيلة ثقيف التي كانت تعاونت مع هوازن على حرب المسلمين... و بعد مدة من محاصرة ثقيف صرف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) النظر عن فتح ديارها وعاد إلى مكّة[٣].

و غير هذه الحروب كانت سفرات تبليغية و مواجهات

١ــ الكامل لابن الأثيرج ٢ ص ٢٤٧ــ ٢٥٠.

٢ــ بحارالأنوارج ٢١ ص ١٤٩.

٣ــ السيرة لابن هشام، القسم الثاني ص ٤٨٢.

محدودة... وها نحن نقدم إحصاء بالقتلى المسلمين والكافرين في جميع الحروب التي دارت في زمان النبيّ صلّى الله عليه وآله. معتمدين على المصادر التاريخيّة المعروفة:

(أنظر الصفحة التالية)

اسم الحرب	تاريخ الخميس	السيرة لابن هشام	تاريخ اليعقوبى	الطبقات	بحارالانوار	تاريخ الطبري
بدر	٨٤	٨٤	٨٦	٨٤	٨٤	٨٤
أحد	٩٣	٩٢	٩٠	١٠٩	١٠٩	٧٠
الخندق	٩	٩	١٤	١١	٩	٩
بنوقريظه	٨٠٠	٨٥٠	٧٥٠	٧٠٠	٩٠٠	٨٥٠
بنوالمصطلق	١٢	—	—	١٠	١٠	—
خيبر	٣٢	٢٣	—	٩٨	—	—
مؤتة	٢١	١٣	—	١٣	—	٣
فتح مكّة	٣٩	٢٠	—	٣٣	—	٢١
حنين وطائف	٩٦	١٠١	—	٨٧	١١٢	٨٥
بقية الحروب	٢٥٠	١٢٢	—	١١٩	٣٣٣	٢١٠

توضيح:

١— عند إعداد هذا الإحصاء أخذنا بالحدّالأكثر عند اختلاف الروايات وحيث لم نتمكن من تعيين العدد تركنا المكان خالياً.

٢— «تاريخ الخميس» الذي جعلناه أحد مصادرنا هنا عبارة عن مجموعة منتخبة من عشرات الكتب في التفسير والتاريخ والحديث.

ولاشك أن القاريء العزيز قد لاحظ أنّ حروب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم تكن بهدف التوسع والاعتداء وإنما كانت كل هذه الحروب لوضع الحدّ لناقضي عهود المعتدين... ولحفظ استقلال المسلمين... والدفاع عنهم... ولإعلاء كلمة الحق.

عالميّة الإسلام

الإسلام دين الشرق والغرب:

ظهرالإسلام منذيومه الأوّل كالمعين الصّافي الزلال، ثم أخذ ينمو و يتسع و يتعمق أكثر فأكثر إلى أن بدا كالنّهر العظيم المتدفّق يسقي الإنسانيّة في مختلف بقاع الأرض فيرويها.

وكان الإسلام كلما انتشر ازداد اتّساعاً و عمقاً وقد استطاع بصدق أن يخلص البشريّة من كلّ الأنظمة الخاطئة و يرشدها إلى طريق الخير والسّعادة. و قد استمرّ في الانتشار بالرّغم من السّياسات الاستعماريّة العالميّة و بالرّغم من النشاطات التحريفيّة التي كان يقوم بها أعداء الإسلام من أجل القضاء على جذوره. و يتمتع الإسلام بكثير من المقوّمات و منها الخلود والعالميّة، و على أساس هذين الأمرين العظيمين وضع قوانينه وتشريعاته.

إنّ خاصيّة الإسلام الكبرى هي مطابقته للفطرة البشريّة التي تلامس قضايا الناس جميعاً في كل مكان أو زمان و يقوم عليها أساس حياتهم. و بناءاً على هذا فإنّ الذين يقولون: إن الشرق شرقٌ والغرب غربٌ ولايمكن لنبيّ شرقيّ أن يقوم بقيادة الغرب، من

يدّعي هذا فهو مخطىء خطأً شديداً لأنّه لافرق بين الشرق والغرب من جهة الفطرة، فكما أنّ الإنسان الشرقيّ يحتاج إلى دين فطريّ فكذلك الغربيّ أيضاً.

من مكّة دعى النبيُّ العالَم إلى الإسلام:

عند ما أطلق النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) شعار التوحيد في فضاء مكّة المظلم لم يكن قصده صلوات الله عليه أن يصلح منطقة الحجاز والمنطقة العربيّة... بل كان مأموراً أن يبدأ رسالته العالميّة من المحيط العربيّ...

والشّاهد على ذلك ما قاله في بدء دعوته مخاطباً عشيرته الأقربين:

(إنّي رسول الله إليكم خاصّة وإلى النّاس عامّة)[١].

و يؤيّد هذه الحقيقة من القرآن الكريم عدّة ايات نذكر منها ثلاثة:

١ــ **قُلْ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَميعاً.**[٢].

وأنت تلاحظ أنّ الخطاب لم يستعمل كلمة (العرب) أو (الشّرقيّين) وإنّما الخطاب يشمل جميع الناس من شرقيّين و غربيّين.

٢ــ **وَما أَرْسَلْناكَ اِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمينَ**[٣].

١ــ كامل التواريخ ج ٢ ص ٦١ طبع بيروت سنة ١٣٨٥.

٢ــ سورة الأعراف آية ١٥٨، يذكر في مجمع البيان ج ٤ ص ٣٣٩ إنّ هذه الآية نزلت في مكّة.

٣ــ سورة الأنبياء ١٠٧.

٣ــ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ[١].

يظهر جليّاً من هذه الآيات أنّ رسالة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عالميّة، ولم تكتسب هذه الصّفة ــ بعد ذلك ــ في المدينة عند انتشار الإسلام بل كانت منذ ابتدائها شاملة لجميع الأزمنة والأمكنة.

قال الإمام الصّادق عليه السّلام جواباً للرّجل الذي سأله: مابال القرآن لايزداد على النشر والدّرس إلاّ غَضّاً؟ فقال:

لأنّ الله تبارك و تعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديدٌ و عند كل قوم غضٌّ إلى يوم القيامة[٢].

شاهد آخر على عالميّة الإسلام:

في السنة السّادسة من الهجرة أرسل النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) رسائله إلى حكّام العالم و وسمها بكلمة (محمّد رسول الله) ودعاهم إلى الإسلام، و معنى هذه الرسائل واحد و هو الدّعوة إلى عبادة الله والوحدة والتآخي في الله. ولأنّ هذه الدعوة كانت بأمر من الله وإنذاراً للناس فقد أثرت فيهم أثراً عميقاً وملفتاً للأنظار بحيث قبل هذه الدعوة كل باحث عن الحقيقة كالنجاشي والمقوقس

١ــ سورة الأنعام ١٩.

٢ــ سفينة البحارج ٢ ص ١٣.

وغيرهم[١].

و تدلّ التحقيقات الّتي أجريت حول الرسائل التي أرسلها النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم إلى الملوك ورؤساء القبائل وأصحاب الأديرة أنها تزيد على اثنتين وستين رسالة نعرف منها ٢٩ رسالة[٢] ونحن نذكر بعضها:

١ــ لكسرى ملك الفرس: بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمّد رسول اللّه إلى كسرى عظيم فارس.

سلامٌ على من اتّبع الهدى و آمن باللّه ورسوله و شهد أن لاإله إلااللّه وحده، لاشريك له، و أنّ محمّداً عبده و رسوله، أدعوك بدعاية الحقّ فإني أنا رسول اللّه إلى الناس كافّة؛ لأنذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس[٣].

٢ــ لِهرَقْل ملك الرّوم:

بسم اللّه الرحمن الرحيم: من محمّد بن عبداللّه إلى هرقل عظيم الرّوم. سلامٌ على من اتبع الهدى، أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك اللّه أجرك مرّتين فإن توليت فإنّما عليك إثم الاريسيّين[٤].

«يا اَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إلىٰ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ اَلاّ نَعْبُدَ إلاّ اللّهَ وَلانُشْرِكَ بِه شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً اَرْباباً

١ــ كامل التواريخ ج ٢ ص ٢١٠.

٢ــ مكاتيب الرّسول ج ١ ص ٤١ــ ٣٥ و ص ١٨٢ــ ٩٠.

٣ــ مكاتيب الرّسول ج ١ ص ٩٠.

٤ــ اختلف العلماء فى ضبط هذه اللفظة، ومحصّل ماقالوا فى معناها انّهم كانوا قوماً عرفوا بالاثم بين الروم تلك الأيّام.

مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»[١]

وَلَمْ تَكُنْ رَسائل النبيّ منحصرة في الملوك فقط ولكن كان يرسلها إلى الشعوب وأصحاب الديانات المختلفة كي يطلعوا على بزوغ شمس الإسلام.

٣ــ إلى والي اليمن هوذة: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمّد رسول الله إلى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى وأعلم أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر ــ أي حيث تقطع الإبل والخيل ــ فأسلم تسلم واجعل لك ماتحت يديك.[٢]

٤ــ إلى اليهود: «**من محمّد رسول الله** (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أخي موسى و صاحبه بعثه الله بما بعثه به، انّي أنشدكم بالله و ما أنزل على موسى يوم طور سيناء، وفلق لكم البحر وأنجاكم وأهلك وأطعمكم المنّ والسّلوى وظلّل عليكم الغمام هل تجدون في كتابكم أنّي رسول الله إليكم وإلى الناس كافة فإن كان ذلك كذلك فاتّقوا الله وأسلموا وإن لم يكن عندكم فلا تباعة عليكم[٣].

٥ــ إلى أسقف نجران: باسم إله إبراهيم وإسحاق و يعقوب، من محمّد النّبي رسول الله إلى أسقف نجران.. أمّا بعد فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله

١ــ مكاتيب الرسول ص ١٠٥.
٢ــ السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٦.
٣ــ مكاتيب الرسول ج ١ ص ١٧٢.

من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم آذنتكم بحرب «والسلام»[١].

وظيفتنا في تبليغ الإسلام:

إن تقدم الإسلام مدين قبل كل شيء لجهود النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المتتالية وسهره الدائم هو و أصحابه الأوفياء، وقد استفاد النبيّ (ص) في ذلك من قوتين هما:

الأولى: المبلّغون الّذين أدركوا حقيقة الإسلام والذين كان لهم صلة متينة بالنبيّ وإيمان عميق به.

الثانية: الرسائل الّتي كانت تدلّ على تعاليم حياة أفضل وتعكس الإسلام بشكل واضح. وبالرغم من عدم وجود الوسائل اللازمة لتبليغ الإسلام عندالنبي (ص) فقد أرسل إلى أنحاء العالم.

ولاشك أنّ روح النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تنتظر من المجتمع الإسلامي أن يبلغ رسالة الإسلام و يستفيد من الوسائل الجديدة وأسلوب في ذلك لينشر تعاليم الإسلام في العالم كلّه.

يجب علينا أن نوظّف كل إمكانيّة نملكها من أجل تبليغ الرسالة الإسلاميّة الّتي هي عامّة لكل الناس كماتقدم. ويجب أن لانأسف على بذل مايلزم في هذا الطريق من التضحيات لنشر الإسلام كي نهدي إخواننا في الشرق والغرب إلى المعين الّذي يمدّهم

١ــ البداية والنهاية ج ٥ ص ٥٣.

بالحياة. ونعيش بالتّالي في دنياً ملائى بالفضيلة والخدمة تماماً كما قال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعلي (عليه السّلام):

«وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مماطلعت عليه الشمس وغربت ولك ولائه ياعلىّ»[1].

١ــ بحارالأنوارج ٢١ ص ٣٦١.

محمّد

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

خاتم الأنبياء

خلود الإسلام و خاتميّة النبيّ محمّد

(صلّى الله عليه وآله وسلّم).

خاتميّة النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كو حدانية الله سبحانه من المسلّمات والحقائق الواضحة عند جميع فرق المسلمين. والدّين الإسلاميّ يبقى جديداً أبداً وكلما اتسعت آفاق البشريّة واتضحت رؤيتها وتحددت، اتضح خلود هذا الدّين وظهرت عجائبه.

وسنحاول هنا أن نتناول هذه المسألة المهمّة... أبديّة هذا الدين و خلوده، وفي البداية سنذ كرأهمّ العلل والمقّومات التي تجعل المبدأ أبديّاً ثم ننتقل إلى تقصي ذلك في الإسلام:

١ــ انسجام المبدأ مع الفطرة من أهمّ علل أبديّته فالدّين الذي يتركّز على أساس من فطرة الإنسان و واقعه يحفظ نفسه من الاندثار... و يؤمن أسباب خلوده وصلاحيّته لكل زمان رغم مايحدث من تطوّرات وما يستجد من مشاكل.

٢ــ حينما تكون نصوص المبدأ مرنة يكون عمرها أطول منه

حين مالا تكون كذلك.. لأنّها عند ما تكون مرنة غير مرتبطة بزمان أومكان... ولاذات طابع خاصّ يمكن أن تلبيّ الحاجة التشر يعيّة رغم تبدل الأزمنة والأمكنة... وتبقى حيّة كأنها وضعت لتعالج المشاكل المعاشة فعلا.

أمّا القوانين التي لا تتصف بالمرونة والّتي وضعت لحالة خاصّة و وقت معيّن، فلايمكن أن تنال حظاً من البقاء... فمثلاً إذا قيل: أنّ على الناس أن لايستعملوا في تنقلهم إلاّ وسائط النقل الطبيعيّة كالفرس و ماشابهه من الحيوانات الأخرى، فإنّ هذا القانون لايمكن له أن يدوم، وذلك لأنّ الحاجة الملحّة تفرض على الناس أن يستعملوا وسائل نقليّة أخرى تم صنعها والاهتداء إليها وهذه الوسائط توفروقتاً وجهداً إلى غير ذلك .

والواقع أنّ إحدى العلل التي بسببها اندثرت الأديان القديمة هي أنها لم تكن تملك قابلية البقاء... و كانت خاصّة بمجتمع معيّن في وقت معين.

٣— الشمول. الدين الخالد لابد و أن يكون شاملاً كاملاً بمعنى أنه لايترك واقعة من وقائع الحياة إلا و يضع لها حكماً... ولايترك مشكلة من المشاكل الإ و يقدم لها حلاً... ولا مسألة من المسائل التي هي موضع حاجة الناس إلا و يضع لها جواباً...

أجل فإنّ الروح البشر يّة العطشى لايمكن أن تروى بسلسلة تشر يعات جافّة لاروح فيها من قبيل العشاء الر باني وشرب الخمر ولبس الصليب كقلادة وغيرذلك.

٤ــ الحل عند الضرورة

و من الأشياء التي لابد من توفرها في المبدأ لكى يتخذ طابع الأبديّة... أن يقدم للإنسان الحلّ عند ما يصل إلى طريق مسدود... فالمقررات العامة والقوانين التى يقدمها المبداء قد تتعارض فيما بينها أحياناً كما فى موارد الضرورة.

مثلاً بناء على تحريم شرب الخمر... و وجوب الحفاظ على النفس يتعارض هذان الحكمان في مورد يتعيّن الخمر علاجاً لمريض. فيصبح هذا المريض في طريق مسدود لايدري بأيّ الحكمين يلتزم؟

إذن ــ بالإضافة إلى المقرّرات العامّة ــ لابد من تقديم الحلّ عند الضّرورة.

هذه ــ بإيجاز ــ أهمّ علل بقاء ودوام المبدأ وسنرى فيما يلي وبإيجاز أيضاً ما إذا كانت هذه المقوّمات قد روعيت في التشريع الإسلاميّ أم لا.

الإسلام، الدين الخالد:

١ــ الانسجام مع الفطرة: إنّ القوانين والتشريعات الإسلامية قدلو حظ فيها حين تقنينها وتشريعها فطرة الإنسان وحاجته... ولذلك جاءت هذه التشريعات كفيلة بتأمين التوازن بين غرائز الإنسان. مثلاً الغريزة الجنسيّة قدم لها الإسلام حلولاً مختلفة و واضحة يمكن عن طريقها إرضاء هذه الغريزة كما يمكن أيضاً وضع الحد لطغيانها وإفراطها الّذي يكون سبباً في كثير من المفاسد والمشاكل التي تصيب.

٢ــ العموميّة: القوانين الإسلاميّة ليست ذات طابع خاصّ بحيث تكون محدودة بزمان أومكان حتى يلتزم بتغييرها مع مرور الزمان أو تبدل المكان... بل هى عامّة ملحوظ فيهاجميع الأزمنة والأمكنة وتمام الحالات والأوضاع... مثلاً: الجهاد في الإسلام لايتخذ طابعاً خاصّاً يجعله محدوداً كإيجاب الحرب بالسيف، بل يلزم المسلمين أن يعدّوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوّة ليستطيعوا الدّفاع عن حقوقهم الحيويّة و احراز النصر في ميدان الحرب...

وهذا الحكم كلي ينسجم مع جميع الأزمنة والحالات...

وهكذا فإنّ القوانين الإسلاميّة الأصليّة الأخرى تعتبر مبادىء وقوانين عامّة توضح لنا حكم كلّ واقعة خاصّة.

٣ــ الشمول: الدين الإسلاميّ أكثر الأديان شمولاً... ولقد تناول المسائل الاقتصاديّة والعسكريّة والحقوقيّة والأخلاقيّة وغير ذلك... تناولاً متيناً دقيقاً تقف عقول العلماء عاجزة متحيّرة. ولايفتقر هذا الادعاء العريض إلى الدليل إذا مالاحظنا آلاف الكتب التى ألفها العلماء المسلمون في هذه الميادين والتي تستمد من معين القرآن الكريم وأحاديث النبيّ وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٤ــ الحلّ عندالضرورة في موارد الحاجة: نجد أنّ الإسلام وضع قوانيناً عامّة تعين وظيفة الإنسان من قبيل: «قانون لاضرر ولاضرار في الإسلام» و من قبيل «الضرورات تبيح المحظورات»

ومن قبيل «ماجعل عليكم في الدين من حرج»[١] وبالإضافة إلى ذلك فإنّ للنبيّ أو الإمام أوالفقيه الخبير بالشّريعة أن يعين الوظيفة طبقاً لقواعد معينة ليس محلّ تفصيلها هنا.

وهكذا، فإنّ هذه المقوّمات جميعها موجودة في الإسلام... وبهذا يثبت أنا لسنا بحاجة إلى تشريع آخر لأنّا إنما نكون بحاجة إليه حين نفقد التشريع الذي يلبّى جميع حاجاتنا... كمايثبت أنّا لانحتاج إلى نبيّ جديد ليأتى بتشريع صالح... والمفروض انا نمتلك مثل هذا التشريع... فعدم الحاجة إلى تشريع جديد هوعبارة أخرى عن عدم الحاجة إلى نبيّ جديد... وخاتميّة التشريع الإسلاميّ تعنى خاتميّة النبيّ محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) للأنبياء جميعاً صلوات الله عليهم...

الخاتمية في القرآن الكريم:

تناول القرآن الكريم شموليّة الشريعة الإسلاميّة وخاتميّة النبيّ (ص) في آيات عديدة نذكر منها:

١ــ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لامُبَدِّلَ لِكَلِماتِه وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[٢].

١ــ قانون الاضطرار يجرى فى مورد العسر، و قانون الحرج يجرى فى مورد المشقة والتعب الشديد، و قانون الضرر يجرى فى مورد الضرر. وشرائط جريان كل قانون من هذه القوانين وخصوصياته مذكورة فى كتب الفقه الاسلامي و علم أصول الفقه، فعليكم بالرجوع اليها أو إلى أساتذتها لمعرفة التفاصيل.

٢ــ الانعام ١١٥، تفسير الميزان ج ٧ ص ٣٤٨ تفسير منهج الصادقين ج ٣ ص ٤٣٩.

٢ــ مٰا كٰانَ مُحَمَّدٌ أَبٰا أَحَدٍ مِنْ رِجٰالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللّٰهِ وَخٰاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكٰانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً[١].

وكلمة (خاتم) بفتح التاء أوكسرها عند ما تضاف الى الجمع تكون بمعنى آخر، وخاتم النبيين يعنى آخر النبيين[٢]، والنبى أعمّ من الرسول[٣] و بناء عليه فإن جميع رسل اللّه وأنبيائه يطلق عليه أنبياء، و إذن فالآية الكريمة حينما تقول خاتم النبيين فإنّها تقول إنّه(ص) خاتمهم جميعاً ولايأتي بعده نبيٌّ ولارسول ولاصاحب كتاب ولاغير ذلك .

٣ــ إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ[١].

هذا الآية تدلّنا على أنّ القرآن هوالدستور الأكمل والمنهاج الأقوم، وطبيعيّ أنّه والحالة هذه لاحاجة بنا لدستور آخر.

الخاتمية في الأحاديث الشريفة:

لقد ورد ذكر الخاتميّة في المصادر الإسلاميّة بكثرة. لا تدع مجالا للشك بها... وسنذكرهنا بعض الروايات:

قال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) **أيّها الناس إنّه لانبيّ**

١ــ الاحزاب ٤٠.

٢ــ لسان العرب مادة «ختم».

٣ــ صرح بذلك العلماء والمفسرون اعتماداً على اللغة والقرآن والحديث، للتأكيد راجع جامع الجوامع ص ٢٧٥ تفسير الميزان ج ٢ ص ١٤٤، تفسير الكشاف ج ٣ ص ١٦٤ تفسير البيضاوي ص ٤٤٧، مجمع البيان ج ٧ ص ٩١، روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٢ وغير ذلك.

١ــ سورة الإسراء ٩.

بعدي ولا سنّة بعد سنّتي فمن ادّعى ذلك فدعواه وبدعته في النار ومن ادّعى ذلك فاقتلوه ومن اتبعه فهم في النار الخبر[١].

وقال الباقر والصادق عليهما السّلام: **لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيّكم الأنبياء»**[٢]

وقال علي عليه السّلام: **فقفّى به الرّسل وختم به الوحي**[٣].

وقال النبيّ: **يا عليّ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعديّ**[٤].

وقال الإمام الرّضا عليه السّلام: **شريعة محمّد لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولانبيّ بعده إلى يوم القيامة**[٥].

هذه الرّوايات و كثير غيرها— كمايرى القارىء العزيز— تدلّ بوضوح تامّ على خاتميّة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وخلود الإسلام. وعظمة هذا الدين وسمّو مقاصده وشمول قواعده و عموميّتها مما يضمن جدته على مرالزمان... وهذه نعمة كبرى من نعم اللّه عزّوجّل.

إن ديناً كهذا الدين العظيم ليجب أن يطرح على انه البديل لكل النظم والأديان... فما أجمل أن نعمل في سبيل نشر الإسلام ليرى العالم خيره العميم...

١— مستدرك وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٦٢ باب ٤٠.
٢— اصول الكافي ج ١ ص ١٧٧.
٣— نهج البلاغة الخطبة ١٣٣ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٠٤.
٤— الكامل ج ٢ ص ٢٧٨ ط سنة ١٣٨٥ هـ .
٥— عيون اخبار الرضا ط قم ج ٢ ص ٨٠.

حديث الغدير
و
خلافة النبيّ
(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

واقعة غديرخم:

السنة العاشرة للهجرة... وهذا موسم الحج... صحراء الحجاز تشهد جمعاً غفيراً من الحجيج وكلّهم يسيرون بشعار واحد نحو هدف واحد.

هذه السنة يتميز الحجّ بحرارة خاصّة، والمسلمون يقطعون المسافات ويجتازون المنازل بسرعة وشوق.

صوت التلبية الحارّ يتعالى في صحراء مكّة، وهذه القوافل[1] تقترب من أمّ القرى واحدة بعد الأخرى، وهؤلاء الحجّاج بثياب الإحرام ذات اللّون الواحد... والتي علاها غبار الطريق... وبالعيون التي اغرورقت بالدّموع... يلقون بأنفسهم في أحضان بيت الله الحرام طائفين حوله... ذلك البيت المقدّس الذي شيد على يد أبى الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه السّلام... والّذي جعله الله سبحانه أمناً لعباده في الأرض.

١ــ يذكر محمد فريد وجدي في دائرة المعارف ج ٣ ص ٥٤٢ ان عدد الحجاج هذه السنة بلغ ٩٠٠٠٠ وقد ورد في الغدير ج ١ ص ٩ انه بلغ ١٢٤/٠٠٠.

و يطل النبي(ص) على المسجد الحرام يتلاطم بأمواج الحجيج... وكلهم أخوة في الله إنما المؤمنون إخوة مستغرقون في العبادة والصّلاة والدعاء بخضوع وخشوع كأنّهم من الملائكة المكرمين.

وترى في وجه النبي(ص) أمارات السرور والارتياح لهذا الإنجاز العظيم ويحمدالله سبحانه على هذه النعمة فلقد استطاع أن يؤدّى الرسالة على أكمل وجه. ولكن رغم ذلك ترى في وجهه(ص) هالة من الحزن والأسى العميق ليست وليدة الساعة بل كانت تبدو عليه منذمدة بين الحين والأخر فتطغى على بشاشته النبوية وتغتال البسمة في شفتيه المباركتين.

إنّه يفكر فيما بعدموته... ويخشى على هذا التجمع أن يتبدّد... وعلى روح الأخوّة فيه أن تذوب... فيرجع المسلمون القهقرى إلى ماكانوا عليه في الجاهليّة.

إنّه (ص) يعلم جيّداً أنّ أمّته بأمسّ الحاجة إلى قيادة إمام عالم عادل يحفظ جهوده (ص) من الضياع...

نعم إنّ جهوده (ص) التي استغرقت ما يقارب ربع قرن من الزمن... تلك الجهود الجبارة المضنية... مهددة بالضياع إن لم تؤمن للأمّة من بعده قيادة صالحة تقود السفين إلى الشاطىء المنشود.

يدّلنا على ذلك أنّه(ص) طليعة حياته المباركة كلما أراد الخروج من المدينة و مهما تكن مدة السفر صغيرة... كان يسلم أزمّة الأمور لشخص أمين كفوء... و يفرض على المسلمين إطاعته وتنفيذ أوامره... ولم يحدث أبداً أنه(ص) ترك المسلمين في المدينة بيد

الحوادث تتصرف بهم كيف تشاء[١] و بناء على ذلك فكيف يمكن أن نتصور أنه «(ص)» يترك أمور أمتّه بعد وفاته بيد الحوادث والأهواء.

كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يعلم ذلك جيّداً وكان يعلم أيضاً أنّ هذا المقام لمن... ومن هو الّذي يمكنه أن يعبىء هذا المركز. من هو هذا الإنسان الّذي له فقط حق خلافة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؟

انه ذلك الذي قال عنه النبيّ (ص) بحضور عدة من شيوخ قريش (من أقارب النبيّ): «**إنّ هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم فاسمعوا له و أطيعوا**[٢]».

إنه ذلك الرجل النزيه الطاهر الذي لم يشرك بالله طرفة عين... ولم يسجد لصنم قطّ.

و هو الذي خاض الحروب مضحّياً بنفسه... وفدى النبي (ص) بنفسه ليلة الهجرة... كل ذلك لنصرة الدين ولترتفع رايته خفاقة مصونة الجانب.

علمه الفياض يستقى من معين علم رسول الله... و قضاؤه الاول[٣] بعد قضاء النبي الأعظم (ص) انه المشهور والمعروف الا وهو عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

وانقضى موسم الحج... وتفرق الناس... كل باتجاه بلده وأهله... وفي الصحراء حدثت مفاجأة...

١ــ الكامل ج ٢ ص ٢٤٢ــ ٢٧٨ــ ٢١٦.

٢ــ الطبري ج ٣ ص ١١٧٣ــ ١١٧١.

٣ــ فضائل الخمسة من الصحاح الستة طبع دار الكتب الاسلامية ج ١ ص ١٨٦ــ١٧٨.

منادوا النبي يدعون المسلمين الى الرجوع اليه... فماذا حدث؟

إنه الأمين جبرائيل يرد على رسول الله، وأبلغه قوله تعالى:

«يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ»[1].

ولم يكن هذا الموضوع الّذي يخاطب الله سبحانه نبيّه لأجله بلهجة شديدة إلا الإعلان الرسميّ لخلافة الإمام عليّ (عليه السلام) وذلك لان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يحاذر من ذكر ذلك لأنه كان يخشى أن يكون ذلك سبباً في وقوع الخلاف والفرقة الشديدة بين المسلمين— فكان لابد من انتظار المناخ الملائم... وبعد نزول هذه الآية تبين أن المناخ الملائم مهيّأ الآن... ولذلك جمع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المسلمين في صحراء الحجاز الجرداء المحرقة وفي مكان منها يدعى غديرخم حتى يبين لهم روح الاسلام وقوامه. ألا وهي مسألة الخلافة...

ولم يكن الناس يعلمون لماذا صدر إليهم هذا الأمر وأيّ موضوع مهمّ استجد... ولكن سرعان ماأعلنت صلاة الجماعة... وبعد أداء فرض الظهر ظهر الرسول الأكرم وسط هذا الجمع الحاشد بسيماه السماويّة... وارتقى المنبر الّذي كان قد أعدّ من أقتاب الإبل...

١— المائدة: ٦٧.

وخيم الصمت على صحراء الحجاز اللافحة اللاهبة... ولكن الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مزّق هذا السكون بكلماته الخالدة:

«... أيّها النّاس قد نبّأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبيّ إلامثل نصف عمر الّذي قبله و إني أوشك أن أدعى فأجيب وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً قال: **ألستم تشهدون أن لاإله إلاّالله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ وناره حقّ وأنّ الموت حقّ وأنّ السّاعة آتية لاريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور. قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: أللّهم اشهد».**

.... إلى أن قال(ص) بعد أن أخذ بيد عليّ فرفعها حتى بان بياض إبطيها:

«أيّها النّاس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: **إنّ الله مولاى و أنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه** (يقولها ثلاث مرّات وبتعبير ابن حنبل أربع مرّات) ثم قال: **أللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار. ألا فليبلغ الشاهد الغائب».**

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله:

«أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلامَ ديناً»[١].

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعليّ من بعدي**» ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين عليه السلام، وممن هنأه في مقدّم الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر، كل يقول: بخٍّ بخٍّ لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[٢].

رواة حديث الغدير:

يتجاوز عدد رواة حديث الغدير المائة وعشرين ألفاً... و ذلك طبيعيّ جدّاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ المسلمين قد التزموا بقول النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) «**ألا فليبلغ الشاهد الغائب**» ثم إن هذه الوقعة كانت أهمّ حوادث سفر الحج في تلك السنة[٣]... و من الطبيعي جدّاً أن يكثر نقلها والتحدث بها...

ولأهميّتها الخاصة كانت تثار بين الحين والآخر... أي أنها لم تكن كسائر الحوادث العادية يدور حولها الكلام لمدّة ثم يطويها النسيان...

ذات يوم و بعد مرور خمس وعشرين سنة على هذه الحادثة

١ــ المائدة: ٣.

٢ــ النص مأخوذ من الغدير ج ١ ص ١٠ــ ١١.

٣ــ الغدير ج ١ ص ٦٠ــ ٦١.

العظيمة— أى في الوقت الذى كان قدتوفى فيه كثير من الصحابة ولم يبق منهم الإقلة— طلب عليّ عليه السلام في مسجد الكوفة ممن سمع حديث الغدير من النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ان يذكره... فنهض من بين الجالسين ثلاثون نفراً ونقلوا الحديث[١].

وقبل وفاة معاوية بسنتين أي سنة ٥٨ أو ٥٩ جمع الحسين عليه السلام في منى بني هاشم والأنصار وسائر الحجّاج وقال من جملة ماقال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله نصبه (أى عليّاً) يوم غدير خم فنادى له بالولاية وقال ليبلغ الشاهد الغائب قالوا: أللّهم نعم[٢].

وقد أورد علماء السنة في كتبهم أسماء مائة وعشرة أصحاب سمعوا حديث الغدير ونقلوه... بالإضافة إلى أنّ عدّة من العلماء المعروفين من السنة أيضاً— ألّفوا كتباً خاصّة بهذا الحديث الشريف[٣].

معنى الحديث:

كل الدلائل توضح أن المقصود من كلمة «مولى و وليّ» في الحديث، هوالخليفة والقائد للأمة الإسلاميّة ولايمكن أن تنسجم مع معنى آخر... وإليك الدليل:

١— علمنا مماسبق أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان

١— الغدير ج ١ ص ١٦٦ و ١٧٤، مسند احمدبن حنْبَل ج ٤ ص ٣٧٠.
٢— الغدير ج ١ ص ١٩٨— ١٩٩.
٣— الغدير ج ١ ص ١٤— ٦١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٨.

يخشى من طرح حديث الغدير... ولم يفعل ذلك إلا بعد أنْ ورد إليه الأمر الصريح و باللهجة الشديدة التي عرفت.

فهل يمكننا إذن أن نقول أنّ المقصود من حديث الغدير هو تذكير الناس بصداقة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعلي عليه السلام؟...

وان كان هذا هو القصد والهدف فما هوالمبرر للخشية من الإفصاح بهذا... ولماذا يهدّد هذا وحدة المسلمين وأخوّتهم... ثم هل تستحق مسألة الصداقة بينهما — صلوات الله عليهما — أن يحشر الحجيج فى بقعة من الأرض جرداء... تكويهم الشمس من جهة... ورمضاء الهجير من جهة أخرى... فيضطر أحدهم أن يضع طرفاً من ثوبه تحت رجليه... والأخر فوق رأسه كما يحدثنا التاريخ؟[1].

٢— ان النبي (ص) قبل أن يقول: **(من كنت مولاه فعليّ مولاه)** أخذ من المسلمين الاعتراف بأنه أولى بهم من أنفسهم.

و هذا يدلّ بوضوح على أن الولاية التي جعلها النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعلي هي عين الولاية الّتى هى له صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وهذه الولاية ليست صداقة أو محبّة بل هى ولاية عامة و قيادة مطلقة... وإن كانت تتضمن المحبّة والعطف فهو(ص) بالمؤمنين رؤوف رحيم.

٣— إنّ حسّان بن ثابت قدنظم واقعة الغدير شعراً بإجازة

١— الغدير ج ١ ص ١٠.

النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد انتشر ذلك الشعر وشاع برضى النبي (ص) وعلمه... وقد ورد في شعر حسّان تصريح بالخلافة والامامة... ومع ذلك لم يعترض عليه معترض من ذلك الجمع الغفير قائلاً له إنك قد أخطأت في تفسير كلمة مولى... بل إنّ الجميع استحسنوا شعره ومدحوه، وإليك بعض شعر حسان:

فقال له قم يا عليّ فإنّني رضيتك من بعدي إماماً و هادياً
فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أتباع صدق مواليا[1]

لقد فسّر حسّان قول النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأنّه نصّ على الإمام بالخلافة ولم يعترض عليه أحد ممايدل على أن الجميع قد فهموا نفس مافهمه حسّان وما نفهمه نحن الآن.

٤ــ إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعدالانتهاء من الخطبة الشهيرة أمر أن تنصب خيمة ليجلس فيها الإمام عليه السلام للتهنئة وأمر المسلمين حتى نسائه هو(ص) أن يهنّئوه و يبايعوه و يسلّموا عليه بإمرة المؤمنين[2] و من البديهى أن هذه المراسم لا تنسجم إلاّ مع الولاية والخلافة.

٥ــ قال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) **هنئوني هنئوني إنّ الله تعالى خصّني بالنبوّة وخصّ أهل بيتي بالإمامة.**[3]

وهكذا يرى القارىء العزيز، أنّ هذه الشواهد توضح حديث الغدير ولا تبقى فيه أيّ إبهام.

١ــ الغدير ج ٢ ص ٣٤ــ ٤١. تذكرة خواصّ الائمة لابن جوزيّ حنفيّ ص ٢٠.
٢ــ الغدير ج ١ ص ٢٧٠ــ ٢٧١.
٣ــ الغدير ج ١ ص ٢٧٤.

أخلاق محمّد

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

وسلوكه

حاجة المجتمع إلى الأخلاق

كلما تقدم العلم وترقت التكنولوجيا، ازدادت حاجة البشريّة الى الأخلاق... و من الضروريّ أن تسير القوانين الأخلاقيّة التي جاء بهاالأنبياء جنباً الى جنب مع التقدم العلمى والصناعىّ، وذلك لأنّ الحضارة المعاصرة لاتقدم للإنسان سوى وسائل الراحة... والالآت على اختلاف أنواعها... ولا تقدم أيّ ضمان يؤمن عدم استغلال الإنسان لهذه المخترعات والمكتشفات واستعمالها في ضرر الإنسانيّة.

وهذا الازدياد في إحصائيّات الجرائم والجنايات والقتل والانتحار وسائر مظاهر الفساد... إنّما يوضّح هذه الحقيقة... إذا لم تكن الأخلاق— و هى جزء من رسالة الأنبياء— مسيطرة على سلوك المجتمع فإنّ العلم والصناعة لايمكنها أن يؤمنّا سعادة الإنسان و استقراره.

إنّ المستعمرين يستخدمون العلم والصناعة لمصالحهم— لأنّ الأخلاق فقدت— فيرملون الملايين و يسحقون حقوق الشعوب

المستضعفة... ويمتصون دماءها وثرواتها.

إن العامل الوحيد الذي يستطيع أن يمسك بزمام غرائز الإنسان العارمة وعصيانه وتمرّده العاتيين... والذي يستطيع أن يسخر العلم لصالح سعادة البشريّة... إنما هو عامل الأخلاق التي تنبع من الإيمان الواقعيّ باللّه سبحانه. وإنّ تعاليم الأنبياء الأخلاقيّة وسلوكهم أفضل وسيلة يمكنها أن توصل الدنيا إلى حياة أمثل. والأخلاق ضرورة للإنسان سواء في حياته الفرديّة أم الاجتماعيّة.

أمّا اولئك الذين يحملون مسؤوليّات قياديّة، فإنّ حاجتهم إلى الأخلاق تصبح أكثر إلحاحاً، وذلك لأنّ المربي والمرشد يجب أن يكون مثالاً يحتذي وقدوة في الصفات الإنسانيّة العالية والأخلاق الكريمة حتى يمكنه أن يطهر قلوب الناس من الرذائل.

بينما إذا كان— رغم مسؤوليته الاجتماعيّة— لايمتلك أيّ رصيد أخلاقي، فإنّه لن ينجح في أداء وظيفته... وستكون توجيهاته وجهوده— ذات آثار سطحيّة لا تلبث أن تتبدد.

وثانياً فإنّ مسؤوليّة التوجيه الاجتماعيّ تبلغ من الأهميّة حدّاً لايمكن للإنسان معه أن يتحملها بدون أن يكون ذامستوى أخلاقيّ رفيع... ولأجل هذا فإنّ اللّه سبحانه قداختار أنبياءه يتحلّون بالرّوحيّة العالية والصدر الرحب والحلم والتسامح وسائر الصفات الأخلاقيّة الفاضلة.

و بسلاح الأخلاق هذا استطاع الأنبياء صلوات اللّه عليهم أن يحطّموا الأصنام و يغيروا الأوضاع الفاسدة المستغرقة في الفساد و يقلبوها رأساً على عقب... ويحرّروا عباداللّه من قبضة الهلاك .

وحول النبيّ محمّد(ص) قال تعالى:

«فَبِمٰا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ »[١].

أخلاق النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هي التي خلقت أوّل امواج التيار الإسلاميّ في المنطقة العربيّة وفي العالم كله... وفي ظلّ هذه الثّورة المقدّسة تحولت الفرقة إلى وحدة والتحلل إلى عفّة وطهارة والعطالة إلى كدح وكد والأنانية إلى محبّة والتكبّر إلى تواضع وعطف وفي ظلّها أيضاً نشأ أفرادهم نماذج أخلاقيّة وقدوة لمن سواهم... ولقد كانت النبيّ محمّد من العظمة جيث شهداللّه سبحانه بها فقال **«وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»**[٢] وهانحن نتناول هذه الصفة العظيمة لنتعرف على بعض جوانبها:

محمّد بين النّاس:

مع أنّ نبينا (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان له مقام نبوة جليل... وكانت له سلطة وقيادة... فإنّ حياته ومعاشرته كانت عادية تماماً و بدون تجمّلات بحيث إن الغريب كان إذا أقبل على مجلسه(ص) يضطرّ أن يسأل أيّكم محمّد؟[٣]

١— سورة آل عمران— ١٥٩.

٢— سورة القلم— ٤.

٣— مستفاد من احاديث في البحارج ١٦ ص ٢٢٠— ٢٢٩ ط الآخوندى طهران.

لم تغرّه الدنيا ولم تأسره المظاهر والاعتبارات... ولم يقع في حبائل شباكها... بل كان أبداً ينظر اليها بعين الزهد والتقوى[١].

كانت عباراته(ص) صغيرة اللفظ قصيرته، لكنها مليئة المعنى كبيرته... لم يرقطّ مادّا رجليه بين إصحابه، يكرم من يدخل عليه و ربما بسط له ثوبه و يؤثره بالوسادة التى تحته و يعزم عليه فى الجلوس عليه ان أبى و يكنى اصحابه و يدعوهم بأحبّ أسمائهم تكرمة لهم ولايقطع على أحد حديثه[٢].

ولم يكن حين كلامه لامبالياً... ولم يكن يستعمل الألفاظ القبيحة المستهجنة.

و كان «يجيب دعوة الحرّ والعبد ولو على ذراع اوكراع، و يقبل الهديّة ولـــو انّها جرعة لبن و يأكلها ولايأكل الصّدقه لايثبت بصره في وجه احد[٣].

كان إذا دخل منزلاً قعد فى أدنى المجلس حين يدخل[٤].

ولقد كان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يأكل عَلَى الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله و يرقع بيده ثوبه و يركب الحمار العارى و يُرْدِف خلفه[٥].

إنه(ص) لم يغضب إلاللّه وللدين... ولذلك ايضاً كان

١ــ مستفاد من احاديث في البحارج ١٦ ص ٢٢٠ــ ٢٢٩ ط الآخوندى طهران.

٢ــ كحل البصر ص ٦٩.

٣ــ البحارج ١٦ ص ٢٢٦ــ ٢٢٨.

٤ــ البحارج ١٦ ص ٢٤٠.

٥ــ نهج البلاغة (صبحى الصالح) ص ٢٢٨.

يفرح.

عند ركوبه لم يكن يرضى بأن يرافقه أحد راجلاً.

في السفرات الجماعيّة— أي حين كان يخرج للحج أو في غزوة مثلاً— لم يكن يرضى بأن يكون كلاً على مرافقيه.. بل كان يقوم بنصيبه من العمل.

وقد قال (ص)... ولكني أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه... وقام— بعد ذلك— فجمع الحطب[١].

كان (ص) وفيّاً لجميع معاهداته.

يصل الرحم ولايدافع عن رحمه بدون مبرّر شرعيّ.

لايسمح لأحد أن يتكلم على احد فانه يحب ان يخرج الى الناس وهو سليم الصدر[٢].

كان (ص) مثالاً في التأدب والحياء.

وكان مثالاً في رحابة الصدر والحلم والتسامح.

يقول أنس بن مالك: كان لرسول الله شربة يفطر عليها و شربة للسحر، و ربما كانت واحدة وربما كانت لبناً وربما كانت الشربة خبزاً يماث فهيأتها له(ص) ذات ليلة (فاحتبس) النبي (ص) فظننت أنّ بعض أصحابه دعاه فشربتها حين احتبس فجاء بعدالعشاء بساعة فسألت بعض من كان معه هل كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أفطر في مكان أو دعاه أحد؟ فقال لا (إلى أن قال)

١— كحل البصر ص ٦٨.

٢— البحار ج ١٦ ص ٢٣٢— ٢٢٦.

فأصبح صائماً وما سألني عنها ولاذكرها حتّى الساعة[١].

ولقد كان صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يحبّ الصلاة كثيراً ولكنه عندما كان الناس يأتون إليه في حاجة ويجدونه مشتغلاً بالصلاة يخفف صلاته ثم يستمع إلى حوائج الناس ثم لايدّخر وسعاً في قضائها.

كان يحترم الجميع... ومقياس الفضيلة عنده الإيمان والعمل... ولم يكن يأبه بالثروة والجاه والمنصب... كان عطوفاً على الرقيق مهتمّاً بشؤونهم وحوائجهم[٢].

تسامحه وعفوه:

لم يكن من طبعه محاولة الانتقام ممن أساء إليه... و كان يتجاوز عن أخطاء الآخرين... و كان يواجه أذيّتهم له بالعفو والتسامح[٣].

ورغم كل الذي لاقاه من قريش في بدء الدعوة فإنّه عند انتصاره عليهم في فتح مكة عفا عنهم[٤].

عفا عن (وحشيّ) قاتل عمّه حمزة وكذلك فعل مع أبي سفيان وهند[٥].

١— كحل البصر ص ٦٧— ٦٨.
٢— البحار ج ١٦ ص ٢٢٨— ٢٢٩ طبعة الآخوندي.
٣— البحار ج ١٦ ص ٢٦٤— ٢٦٥.
٤— الكامل ج ٢ ص ٢٥٢ ط ١٣٨٥ هـ.
٥— الكامل ج ٢ ص ٢٥٢— ٢٥٠.

ولكن مع شدة عفوه و تسامحه(ص) لم يكن يقبل بأدنى تجاوز لحدود اللّه... ولم يكن لتأخذه في اللّه لومة لائم... فعند ما أخبر أنّ فاطمة المخزوميّة سرقت لم يتقبل وساطة أسامة بن زيد وقال[١] إنما هلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم اللّه لوأن فاطمة بنت محمّد سرقت لقطع محمّد يدها.

نظافته وطهارته:

كان(ص) يحافظ على أن يكون بدنه وثيابه على طهارة دائماً... وكان يتعطّر بأجود انواع العطور... حتى أنّ الإمام الصّادق (عليه السلام) يقول: إنّ رسول اللّه كان ينفق فى الطيب أكثر ممّا ينفق فى الطعام[٢].

و من حيث مرّ (ص) كانت تفوح رائحة العطر...[٣]

و انّه (ص) كان ينظر فى المرآة و يرجّل جمته ويمشط وربما نظر فى الماء وسوى جمته فيه ولقد كان يتجمّل لأصحابه فضلاً على تجمّله لأهله وقال إنّ اللّه يحبّ من عبده إذا خرج إلى اخوانه ان يتهيّأ لهم و يتجمّل[٤].

١ــ ارشاد الساري ج ٩ ص ٤٥٦.
٢ــ وسائل الشيعة ج ١ ص ٤٤٣.
٣ــ سفينة البحار ج ١ ص ٤١٩.
٤ــ وسائل الشيعة ج ٣ ص ٣٤٤.

عبادته وزهده:

لقد كان له(ص) ولع شديد بالصلاة روى عن ابى عبدالله عليه السلام انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان إذا صلّى العشاء الآخرة أمر لوضوئه وسواكه يُوضع عند رأسه مخمراً فيرقد ماشاء الله ثمّ يقوم فيستاك و يتوضأ و يصلّى اربع ركعات ثم يرقد ثم يقوم فيستاك و يتوضأ و يصلّى، إنّه كان يستاك فى كل مرّة قام من نومه[١].

وكان يطيل مُن خضوعه و خشوعه و وقوفه بين يدى الله سبحانه حتى انتفخت قدماه المباركتان[٢].

وكان (ص) كثير التأمّل شديد الاعتبار بما حوله من الأرض والسّماء والشّمس وغير ذلك ، وكان أكثر مايفكر فيه هو عظمة الخالق... وأما زهده فكان من العظمة بحيث أنّ مظاهر الدنيا الخلاّبة لم تفتنه ولم تشدده إليها.

لقد كان محمّد صلّى الله عليه وآله قدوة في الصفات الأخلاقيّة الفاضلة...

وطبيعيّ أنّه لايمكننا أن نوفيها حقها من البحث في مقالة مختصرة... كلما يمكننا فعله هو أن نعطي صورة ما عن الصورة الواقعيّة الأصيلة المشرقة حتى يعلم المسلمون شيئاً عن افعال و سلوك نبيّهم العظيم و يضعون ذلك نصب أعينهم ومثالاً حيالهم، قال

١— وسائل الشيعة ج ١ ص ٣٥٦.

٢— كحل البصر ص ٧٨.

تعالى:

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»[١].

فعليه سلام الله فإنّه أوّل خلق الله وأفضلهم... وسلام الملائكة والصالحين والمقربين... وسلام احترام و تقدير منّا و منك أيّها القارىء الكريم.

١ــ الأحزاب الآية ٢١.

مسألة الخلافة
وخلافة النبيّ
(صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)

الحاجة إلى القيادة:

تدرك جميع المجتمعات البشرية مدى الحاجة إلى الرئاسة والقيادة التي تتكفل بتحريك عجلة المجتمع ولهذا فإنه بمجرد أن يموت قائد فعليّ يدرك الكل ضرورة قيام آخر مقامه... وليس من المعقول أن يبقى الوضع فوضوياً وبدون رئيس معيّن. وذلك لأنه لن يعود على عرى المجتمع إلا بالتحلل والانفصام.

والمجتمع الإسلاميّ واحد من هذه التجمعات البشريّة، وقد أدرك هذه الضرورة وهو يعي أنه لابد بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من قائد يكمل مسيرته... وعلى وجود هذا القائد يتوقف بقاء الإسلام والمسلمين.

ولكن بما أنّ الحاجة إلى القيادة ذات دوافع متعددة فقد تعددت آراء المسلمين حول خصوصيّات القائد: فمنهم من يرى أنّ الغاية من وجود الحاكم تشكيل الجهاز الحكوميّ وحفظ هيبة الحكم... ولذلك فإنّ الخليفة ينتخب انتخاباً من قبل المسلمين.

ويقابل هذا الرأي رأي مدرسة آل البيت عليهم السلام

وأتباعهم فهم اعتماداً على براهين علميّة وفلسفيّة و آيات قرآنيّة و روايات كثيرة، و اعتماداً على رؤية للموضوع أدقّ وأبعد مدى يقررون:

أن الدافع لوجود الخليفة المسلم هو التكامل الإنسانيّ من شتّى الجوانب... بمعنى أنّ الخليفة عليه أن يكمل المسيرة التي بدأها النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في هداية البشر وإرشادهم و تكاملهم المطلق.

وبناء على هذا فإنّ القائد الّذي يستطيع أن يقوم بهذه الرسالة يجب أن يكون معيّناً من قبل اللّه سبحانه... ويجب أن يكون كالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من حيث قدرته على تعيين مشاكل الأُمّة وتشخيصها ووصف العلاج الناجع لها... وعلاجها إنما يكون بالأحكام الإلّهية الواقعيّة... لأن هذه الاحكام هى وحدها التي يمكنها تأمين السعادة البشريّة، وذلك لأنها من اللّه سبحانه واللّه يعلم نوازع النفس البشريّة ومتطلّباتها... والقوانين التي تسعدها.

هذا هو الدافع الواقعي للحاجة إلى القائد... وليس الدافع ماتقوله تلك النظرة السطحيّة من أنه عبارة عن تشكيل الجهاز الحاكم وحفظ هيبة الحكم...

وسنحاول هنا أن نتناول نظرة آل البيت وشيعتهم بشيء من التفصيل:

إن سبب الحاجة إلى خليفة للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هو نفس سبب الحاجة إلى النبيّ نفسه، أوفقل إن الخلافة تتمم ذلك الأصل الّذي ثبتت ضرورته وهوعبارة عن الهدايةِ العامة، أي ان كل

مخلوق من المخلوقات قد أمنت له الوسائل التي بواسطتها يبلغ درجة الكمال... ولكنه يحتاج فقط إلى الهداية كي لاينحرف...

وطبيعيّ أن العقل لايستطيع أن يؤمن له ذلك لأنّ رؤية العقل محدودة... بالإضافة إلى أن الفكر البشريّ معرض للاشتباه والانحراف الفكريّ والعاطفيّ... ولايستطيع أن يقدم القوانين والتشريعات السليمة والمثمرة... ولذلك كان ولابد من بعث الأنبياء لأنهم بواسطة الوحي من الله سبحانه يمكنهم أن يقوموا بهذه المهمّة وبدون أن يقعوا في أيّ خطأ مهما كان صغيراً...

ومن البديهي أنّ هذا الدليل كما يثبت ضرورة وجود النبيّ بين الناس يثبت أيضاً ضرورة وجود الإمام الخليفة حتى يبقى عقد الرسالة نضيداً بوجود القائد الكفوء الذي يقدم للناس رسالة السّماء على أتمّ وجه... ويقودهم إلى مراتب الكمال بفعله وسلوكه المثالي...

نعم... ان هذا الدليل يثبت أيضاً ضرورة وجود الامام، لأنه بدون ذلك لايمكن للإنسان أن يستفيد القدرات المخبئة فيه والتي وهبها الله له ليبلغ بها درجة الكمال. ومعنى ذلك أنّ وجود هذه القدرات في الإنسان سيكون عبثاً ولغواً... وهذا لايصدر من الله سبحانه... لأنه ليس من المعقول أن يودّع في الإنسان قدرات لاحاجة له بها.

يقول الحكيم الإسلاميّ ابن سينا (في كتاب الشفا)[1]:

١ــ الشفاء الالهيات ج٢ ص ٤٤١ ط ١٣٨٠ هـ.

«... فالحاجة إلى هذا الإنسان (اي النبي أو الولي) في أن يبقى نوع الإنسان و يتحصل وجوده أشد من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار و على الحاجبين وتقعير الأخمص من القدمين واشياء اخرى من المنافع التي لاضرورة فيها فى البقاء، بل اكثر مالها انها تنفع فى البقاء و وجود الانسان الصالح لأن يسن و يعدل ممكن كما سلف مناذكره فلايجوز ان تكون العناية الاولى تقتضى تلك المنافع ولا تقتضى هذه التى هى أسها الخ.

وهذا هوالدليل الّذي يوضح جيداً ان خليفة النبي(ص) يجب أن يكون منصوباً و معيناً من قبل اللّه سبحانه و معصوماً منزهاً عن المعاصي و الاخطاء...

لان الخليفة ان لم يكن كذلك فهو معرض للوقوع فى الخطأ كثيراً... الى جانب مجهولا ته اللامحدودة... و فى النتيجة فلن يكون باستطاعته ان يدرك اسرار السعادة البشر ية المتكاملة ولا أن يقدم الدين الواقعي الصحيح للناس حتى يسعدوا بتطبيقه والالتزام به و يصلوا الى درجة الكمال[1].

ولذلك فقد أوجب اللّه سبحانه على المسلمين إطاعة واتباع الّذين نصبهم هو وعينهم لهذا المركز... قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُواللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»[2].

من البديهيّ أن المقصود من **«أولى الأمر»** الذين أوجب

١— للتوضيح أكثر يراجع كتاب (الشيعة في الاسلام).
٢— سورة النساء آية ٥٩.

اللّه طاعتهم كما أوجب طاعة الرسول وأمر باتباعهم في جميع الأشياء والأحوال هم الأئمّة الّذين عينهم اللّه سبحانه لخلافة النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الائمّة المنزّهونَ عن الخطأ وعن الأغراض الشخصيّة، والّذين يقومون بهداية البشر إلى حقائق الأمور. وليس المقصود أبداً أصحاب الأهواء الّذين تجد في أقوالهم وأفعالهم آلاف الأخطاء والّذين لايمكن أن تصل البشريّة باتباعهم الى التكامل المنشود[1].

هل عين النبى الأكرم خليفته؟

كان النبى الأكرم يفدي الاسلام العظيم بنفسه... وكان يعلم اكثر من كل من عداه ان الاسلام الواقعى يجب أن يبقى فى العالم الانسانى محفوظاً مصاناً... فهل يمكن مع هذا أن نتصورانه(ص) التحق بالرفيق الاعلى دون ان يبين للمسلمين خليفته من بعده.

لقد أولى النبى(ص) من بداية مبعثه الشريف أهمية كبيرة لهذا الموضوع... وقد نصّ على خليفته بشكل واضح في موارد مختلفة. إنّ كل من يفكر فى أقواله (ص) في هذا الموضوع جيّداً يرى أن المقصود فيها ليس إلاعلياً وآل البيت عليهم السّلام، ولم يكن المراد أبداً أحدٌ سواهم. وهانحن نقدم نماذج من أقواله(ص) في هذا المضمار:

١— قال النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعليّ:

١— للتوضيح أكثر يراجع تفسير الميزان ج ٤ ص ٤٢٧— ٤١٢.

أنت وليّي في الدنيا والآخرة[١]

٢ــ نقل علماء الشيعة والسنة أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صرح في الملاء العام عدّة مرات قائلاً:

إنّي تارك فيكم ما إن اخذتم به لن تضلوا بعدى الثقلين كتاب اللّه عزوجل وعترتي...[٢]

والمقصود بالعترة أهل بيته(ص) عليّ وأولاده المعصومون لأنّ النبي نصّ عليهم ولأنهم هم المنزهون عن الخطأوهم الذين لم يكن اتباعهم يؤدي الى الضلال.

٣ــ يقول أحمدبن حنبل إمام المذهب الحنبلى أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال لعلي:

انت وليي في كل مؤمن بعدي[٣]

٤ــ ذكر العلماء، شيعة وسنة، إنّ النبي (ص) في آخر سنة من حياته الشريفة وبعد أداء فريضة الحج وقف بين عشرات الألوف من المسلمين وقال: **من كنت مولاه فعليّ مولاه**[٤].

٥ــ هناك روايات كثيرة عن النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يصّرح فيها بأن خلفاءه من قريش وأنّهم اثنا عشر

١ــ مسند أحمدبن حنبل ج ١ ص ٣٣١.

٢ــ مسند احمدبن حنبل ج٣ ص ١٧ و ص ٥٩ وورد فى كتاب غاية المرام ٣٩ حديثاً بهذا المضمون عن طريق السنة و ٨٢ عن طريق الشيعة ص ٢١١ــ ٢٣٥.

٣ــ مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٣٣١.

٤ــ هذا الحديث من الاحاديث القطعية و قد الفت حوله كتب ضخمة ــ للتوضيح اكثر راجع الغدير ج ١ ص ١٠ــ ١١.

خليفة...[١] حتى أنّه ورد في بعض هذه الروايات بيان خصوصيّات الأئمة الأطهار وأسماؤهم[٢].

هذه النماذج الّتي صدر بعضها عن النبي(ص) في آخر سنة من عمره المبارك ... توضح جيّداً من و كيف هوالشخص الّذى يجب أن يتولى زمام أمور المسلمين بعد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

الشورى في الخلافة:

يعتقد فريق من الكتاب أن الخلافة يمكن أن تتم عن طريق الشورى وأكثرية الآراء... وقد استشهدوا لهذا بعدة آيات من القرآن الكريم ورد فيها الامر بالمشاورة واعتبروا أن الانتخاب أحد الأسس الاجتماعية والسياسيّة في الاسلام غافلين عن:

١ــ إنّ الامامة متمّمة للأصل الأساسيّ للنبوة، و كما أن النبوة تعيينيّة وليست انتخابيّة فكذلك الأمامة التى هي خلافة ذلك المقام النبوي.

٢ــ إنما تكون الشورى حيث لم يعين التكليف والحكم من اللّه سبحانه، وكما تقدم فإن النبي(ص) طبقاً للروايات الصريحة قدعين خليفته، فلم يبق مجال للشورى أبداً.

٣ــ لنفترض أن الشوري في هذا الأمر صحيحة... حينئذ لاشك في ان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يبين شرائط الناصب

١ــ صحيح مسلم ج ٦ ص ٣.

٢ــ منتخب الاثر ص ١٠ــ ١٤١ وغيره.

والمنتخب بشكل واضح حتى يكون الناس على بصيرة تامّة من أمر هذه المسألة التي يتوقف عليها بقاء المجتمع الإسلامىّ وبقاء الدين المقدّس... ولكنانرى أنّه(ص) لم يقل شيئاً حول هذا بل قال العكس، فحينما أسلم بنوعامر على يديه(ص) قال له أحدهم:

أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال: الأمر الى الله يضعه حيث يشاء[١].

و على أساس هذه الروايات— و غيرها— **يعتقد الشيعة أنّ خلفاء رسول الله الذين نصّ عليهم هو صلوات الله عليهم كلهم معينون من قبل الله سبحانه... ويرون أنّ عليهم أن يرجعوا إلى هؤلاء الخلفاء والأئمّة الطاهرين في جميع أمور حياتهم... وأن يتلقوا منهم تعاليم دينهم الواقعي الّذي لم تنله يد التحريف.**

ولحسن الحظ إنّ هذا الاعتقاد قد أتاح لنا الاستفادة من علم آل بيت النبيّ (ص) وجمع الذخائر والكنوز من الحقائق والمعارف التي يمكنها أن تضع الجواب لجميع مسائل الحياة في مختلف النواحي... ولهذا كان مذهب التشيع مذهب آل البيت... اغنى المذاهب الإسلاميّة وأثراها.

١— السيرة لابن هشام ج ١ ص ٤٢٤— ٤٢٥ طبعة سنة ١٣٧٥ هجرية.

نظرة سريعة
لمسيرة الخلافة

امر اللّه تعالى الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بتعيين علي بن ابي طالب خليفة له و ابلاغ ذلك الى الناس.

وفي مطلع الدعوة الى الاسلام جمع الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم اقاربه وعشيرته وقال لهم مشيراً الى علي عليه السلام: **ان هذا أخي و وصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا**[1].

وعند ماكان متّجهاً إلى تبوك قال لعلي (عليه السلام): **اماترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انك لست بنبي، انه لاينبغي ان اذهب الا وانت خليفتي**[2].

وفي آخر سنة من حياته الشريفة و بعد اداء فريضة الحج وزيارة بيت اللّه الحرام والرجوع من ذلك وقف في غديرخم امام عشرات الالوف من المسلمين وقال:

من كنت مولاه فعلي مولاه[3].

وكذلك في آخر لحظات حياته قال للناس واصحابه

١ــ تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٧٢ــ ١١٧٣.

٢ــ مسند احمدبن حنبل ج ١ ص ٣٣١.

٣ــ الغدير ج ١. البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٩.

واتباعه:

اني أوشك أن أدعى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين— ما ان اخذتم به لن تضلوا بعدى— كتاب الله عزوجل وعترتى كتاب الله حبل ممدود من السّماء الى الارض وعترتى اهل بيتى و إنّ اللطيف الخبير اخبرنى انها لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض فانظرونى بم تخلفونى فيها...[١]

كما اننا نجد من خلال عشرات الروايات الاخرى انه أكد على هذا الامر وهيأ الارضية المساعدة ليكون زمام الامة الاسلامية بشكل طبيعى بيد علي بن ابي طالب. وحتى انه لم يكتف بهذا القدر، وانما قام ببعض الخطوات العملية الرائعة ليفشل كل الخطط المبيتة لكسب الخلافة وتحريف المسيرة.

فقد اعد جيشاً بقيادة اسامة بن زيد، و هو شاب كفوء قوي ليرسله الى الروم، وامر اهل المدينة بالالتحاق بالجيش وفيهم المهاجرون والانصار ومنهم ابوبكر و عمر، وطلب اليهم الخروج من المدينة وكررالتأكيد على لزوم تنفيذ بعث اسامة، وكان يكررالقول لكل من يرجع قائلاً:

«انفذوا بعث اسامة»[٢].

وتشكيل هذا الجيش واختيار اسامة لقيادته في تلك الفترة حيث كان الرسول قد مرض مرضاً شديداً فكان يقضي آخر لحظات

١— مسند احمدبن حنبل ج ٣ ص ١٧ و ص ٥٩.

٢— كتاب الطبقات الكبير ج ٢ القسم الاول ص ١٣٧ شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج١ ص١٦٠— ١٥٩ طبع ١٣٧٨.

عمره الشريف، هذا التشكيل لم يكن الالتخلية المدينة من العناصر المعارضة وسوق الخلافة وقيادة العالم الاسلامي بشكل طبيعي الى الامام على عليه السلام، وكذلك لكي يعلم الجميع ان الشيخوخة ليست شرطاً في القائد وانما الشرط الكفاءة، ولئلا يجعل صغر سن الامام علي(ع) ذريعة لاقصائه عن مقام الخلافة، ولكي يستطيع الرسول (ص) ايضاً ان يكتب سند خلافة الامام (عليه السلام) في منأى عن معارضة المعارضين.

الا ان المخالفين انفصلوا عن جيش اسامة ورجعوا الى المدينة وحينئذ طلب رسول الله(ص) من جمع صحابته قائلا: ايتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابداً... فرد عليه بعض اصحابه و وصفه بالهجر وكان في البيت لغط وكلام وقال عمر: قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله.

ولقد تألم الرسول(ص) من هذا الامر بشدة وعلم ان كتابته لايمكنها والحال هذه ان ترفع الاختلاف، وحتى انها قد توجب القضاء على اساس الاسلام ولذا فقد ظهر تبرمه وتألمه قائلالهم: **قوموا عني**[١].

السقيفة وماجرى فيها

توفي الرسول الأعظم(ص) في الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة الحادية عشرة للهجرة وعم المدينة حزن شديد.

١ــ الطبقات الجزء الثاني القسم الثاني ص ٣٦ــ ٣٧.

وفي الاثناء قام جماعة من المسلمين باغتنام الفرصة المساعدة وتركوا جسد الرسول(ص) وتجمعوا في سقيفة بني ساعدة.

أراد الأنصار أن ينصبوا زعيمهم سعد بن عبادة كخليفة للرسول (ص) فلم يوافق على هذا عمر و ابو بكر، وقد أوضح ابو بكر خلال حديثه مقام المهاجرين وانهم سبقوا للاسلام وانهم عشيرة الرسول(ص) وأن امير المسلمين يجب أن يكون منهم والوزير من الانصار، وهنا نهض احد الانصار مقترحاً ان يختار كل فريق اميراً له، الاّ ان حديث ابي بكر أثر في عدة من الحاضرين واستعدوا لان ينتخب الامير من المهاجرين، وبدون أن يستشيروا الباقين من المهاجرين والانصار غير الحاضرين في المجلس و يطلعوهم على هذا التصميم في هذا الموضوع الإسلامي الخطير صاروا هم القيّمين على كل الشؤون.

وتداول أبو بكر و عمر الخلافة، فكان كل يقدمها لصاحبه وأخيراً بايع عمر أبابكر عليها[1] و بعد ذلك قام اولئك المعارضون لأمارة سعد بن عبادة بالبيعة لأبي بكر[2] كل ذلك دون أن يدركوا أنه لو كان المقياس في الفضيلة هو قرابة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقد كان من هو أقرب الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من ابي بكر و هو أليق من أيّ جهة بالامر وكانت هذه البيعة المفاجئة هزيمة لسعد ابن عبادة وأنصاره، ونصراً لعمرو أبي بكر، و قد أجبر بعض

١– الطبرى ج ٤ ١٨٤٣– ١٨٣٩. الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٣٢٥.
٢– شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ٦ ص ١٠.

المعارضين على البيعة بحجة انه لاتجوز مخالفة جماعة المسلمين[١].

وعندئذ خرج ابوبكر وعمر و انصارهما من السقيفة واتجهوا نحو مسجد الرسول(ص) فكانوا يرفعون يد من يلاقونه ولايدعونه إلا ان يبايع ابابكر[٢].

وعرف بنوهاشم وكبار المهاجرين والأنصار مثل العباس عم النبي واولاده والزبير والحباب بن المنذر والمقداد وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، و عمار، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب، وعتبة بن ابي لهب، وخالد بن سعيد، وخزيمة بن ثابت و فروة بن عمرو، عرفوا بالخبر فجأة وكانوا يجهلونه، فغمرتهم الدهشة[٣] وامتنعوا عن البيعة، بعد أن لم يستطيعوا ان يتصوروا كيف ان الخلافة انحرفت عن مسيرها بسرعة رغم كل تلك الروايات وتصريحات الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)وخرجت من يدأهل البيت (عليهم السلام).

قال علىّ عليه السلام في جواب أبي عبيدة نصير أبي بكر الّذى تذرع بحجة صغر سنه وعدم توفره على التجربة الكافية: يا معشر المهاجرين، اللّه اللّه، لاتخرجوا سلطان محمد عن داره و بيته الى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه؛ فواللّه يا معشر المهاجرين لنحن— أهل البيت— أحق بهذا الأمر منكم؛ أما كان منّا القارىء لكتاب اللّه، الفقيه في دين اللّه العالم

١— الطبرى ج ٤ ص ١٨٤٥.

٢— شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ١ ص ٢١٩ طبع ١٣٧٨ هجرية.

٣— الفصول المهمة تأليف السيد شرف الدين الموسوى ص ٤١— ٤٢.

بالسنّة، المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً[١].

و لما بويع ابوبكر في يوم السقيفه وجدت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج عليّ (عليه السلام) فقال: أفسدت علينا امورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً، فقال أبوبكر: بلى؛ ولكني خشيت الفتنة... ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها[٢].

ان مطالعة تاريخية للحوادث التي سبقت وفاة الرسول(ص) والأيام القليلة التي تلتها، تكشف لنا بوضوح عن مؤامرة دقيقة متشعبة الجوانب، والاّ فلماذا لم يخبروا بني هاشم وكبار الصحابة باجتماعهم في سقيفة بني ساعدة؟ ولنفرض— جدلاً— أنّ الرسول(ص) لم يعين الخليفة من بعده فهل من الصحيح ان يبت في امر يرتبط بمصير العالم الاسلامي دون مشورة علي(ع) وأصحابه و بني هاشم و كبار الصحابة مثل سلمان وأبي ذر والمقداد؟

فهل كان أولئك يفكّرون أحسن من عليّ، ألم يقل النبي(ص) من قبل في علي(ع):

(علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة)[٣].

١— شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ٦ ص ١٣— ١١ طبع ١٣٧٩ هجرية.
٢— مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠١ طبع ١٩٦٥ م.
٣— تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢١.

(اقضاهم علي بن ابي طالب)[١].

(انا مدينة العلم و علي بابها)[٢].

الم يكن علي(ع) منهل العلم والفضيلة؟

فلماذا لم يبايعوه خليفة و حتى أنهم لم يستشيروه في هذا الأمر الهام.

وهل يمكن اتخاذ حداثة سنه ذريعة؟ ألم يجعل الرسول(ص) قوام التقديم في الكفاءة والتقوى، ولذا قدم أسامة على أمثال أبي بكر، فلماذا لايتقدم علي على غيره؟

ولقد تذرعوا بذريعة أخرى هي ان الدماء التي سفكها علي في الحروب الإسلامية تمنع الكثيرين من الانضواء تحت لوائه.

نعم تناسوا وأغفلوا كلّ الروايات والتصريحات التي صرح بها الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بحقه في حين أن المقاييس تقضي أن يجبر الرافضون للحق على اتباعه لاأن يخالف الحقّ لهذه الذريعة.

هذا علاوة على أنه لوكان هناك سبب صحيح لم يختر الله تعالى عليّاً خليفة للرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم).

سؤال:

يسأل بعض إخواننا المسلمين المنصفين قائلين:

اننا لايمكن أن ننكر مسألة الغدير وسائر الأدلّة المقامة على خلافة الإمام علي (عليه السلام) ولكن لماذا لم يدافع علي نفسه عن

٢ــ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٦٢.

٣ــ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٥٠.

حقّه بعد وفاة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في حين إنه حارب عند خلافته كل أولئك الذين قاموا ضده وأرادوا غصب حكومته؟

الجواب:

إنّ علياً لم يكن ليعترفُ بحكومة أبي بكر، ولذا فإنّه لم يكن ليحضر جماعته وجمعته، واستعان بالناس ليستعيد حقه المغضوب، حتى أنه كان يطوف بالزهراء فاطمة ليلا على بيوت الأنصار و يطلب معونتهم في الأمر ولكنهم تذرعوا بأنهم بايعوا وقدقضي الأمر[١].

لقد كان الأنصار حديثي عهد بالاسلام، ولذا فقد كانت العادات والأخلاق الجاهليّة مازالت معشعشة في أعماق نفوسهم، ولذا فإنّهم لم يكونوا بقادر ين نفسياً على تجاوز بيعة أبي بكر رغم أنّها وقعت في غير محلها و من ثم نصرة علي (عليه السلام).

فعليّ إذن لم يكن يملك ناصراً بعد وفاة الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليقوم مطالباً بحقه وإلاّ فلم يكن متوانياً في أخذ حقه وقيادة العالم الإسلامي.

وهذا ماتجلى عند ما ثارالناس بوجه عثمان وقتلوه واتجهوا بكل حماس نحو علي (عليه السلام) ومدوا اليه يدالبيعة فأعلن أنه لاعذر له في عدم قبول الأمر بعد قيام الحجة بوجود الناصر[٢] فنهض عليه السلام به وقاد العالم الإسلامي أروع قيادة.

١ــ شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ٦ ص ١٣ طبع ١٣٧٩.

٢ــ نهج البلاغة فيض الاسلام الخطبة ٣ ص ٣٧ــ ٤٣.

أما بعد وفاة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فإنه كان يرى الإصرار على المطالبة بحقه رغم عدم الناصر، لاينتج إلا ازدياد الاختلافات الداخليّة، الأمر الذى يعود ضرره على الإسلام ودولته الفتية. ذلك أنّ أعداء الإسلام كانوا يتربّصون به الدوائر و ينتهزون الفرص للانقضاض على مكاسبه.

وعليّ عليه السلام أراد أن يحفظ الإسلام، والإسلام لديه أعزّ من كل شيء لقد رأى(ع) وهو البطل المقدام الذي وقف جنباً إلى جنب الرسول(ص) في حروبه وصراعه ضدّ الكفر، رأى أنّ صلاح الإسلام والمسلمين يكمن في تركه التحرك والمعارضة الثورية والصبر على مضض الألم.

لم يكن علي(ع) طالب رئاسة ولذلك لم يتوسل بشتى الوسائل للوصول إلى منافعه الشخصية، وأننا نجد عليّاً يتخذ الموقف الرسالي المسؤول عند مايأتيه أبوسفيان قائلاً: (ابسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجلاً).

ليرفض علي عليه السلام هذا العرض الخبيث الماكر و يقول له:

(والله إنّك ماأردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً لاحاجة لنا في نصيحتك)[1].

١ــ الكامل لابن الاثيرج ٢ ص ٣٢٦ طبع سنة ١٣٨٥ هجرية.

والواقع:

اننا لم نطرح هذا البحث الاليقوم الاخوة من اهل السنة بمراجعة مصادرهم المعتبرة ويحققوا و يبحثوا حول هذه الحقائق التاريخية لنصل بالتالي الى تفاهم فكري و تعاون اخوي صميم وننسى الماضي المرونخطو معاً على طر يق الوحدة الاسلامية الشاملة.

الفهرست

العنوان الصفحة

مقدّمة ٣

العالم والعرب قبل ظهور الإسلام ٥

الجزيرة العربيّة قبل ظهور الاسلام ٧

النبيّ محمّد ١٣

ولادته وطفولته ١٤

محمّد (ص) الوليد العجيب ١٥

حليمة مرضعة محمّد (ص) ١٧

محمّد في غمرة الأحداث ١٨

صفات و ملامح محمّد (ص) ١٨

خواطر من حياة محمّد (ص) في طفولته وشبابه ٢١

خواطر ٢٢

حديث بحيرى الرّاهب مع محمّد (ص) ٢٣

رعي الغنم وأثره في حياة الرّسول (ص) ٢٦

عفّته وطهارة نفسه وتعاليه عن المغريات ٢٧
الزّواج الأوّل لمحمّد (ص) ٣١
اقتراح خديجة ٣٣
من هى خديجة؟ ٣٤
محمّد (ص) يسافر الشّام ٣٤
اقتراح الزّواج ٣٦
تعدد زوجات النبّيّ ٣٩
نماذج من تهم المسيحيّين ٤٠
حكم التّاريخ وقضاوة ٤٢
استجواب للمستشكلين ٤٣
تعداد أزواج النبيّ (ص) ٤٤
الا تّهامات الباطلة ٤٦
شخصيّة الرّسول الأعظم قبل البعثة ٥١
غريزة التقليد والمماشاة ٥٢
مجتمع الجزيرة العربيّة قبل ظهور إلاسلام ٥٣
حكم النبيّ (ص) بين قريش في وضع الحجر الأسود..... ٥٤
بداية الوحى ٥٩
رسالة محمّد (ص) العالميّة..... ٦٠
محمّد (ص) في سنّ الأربعين ٦١
هل كان محمّد (ص) يمرّ في غار (حراء) بمرحلة دراسيّة وتعليميّة؟..... ٦٣
ما هوالوحي؟..... ٦٥

هل الوحي نوع من المرض؟ ٦٦
الوحي والعلم اليوم ٦٨
طريقة النبيّ في تبليغ رسالته ٧١
خديجة في انتظار محمّد (ص) ٧٣
عليّ (ع) أوّل من أسلم من الرّجال ٧٤
تشريع الصلاة ٧٥
ثلاث سنوات من التبليغ العمليّ ٧٦
دعوة الأقربين ٧٧
الدّعوة العامّة لمحمّد (ص) ٨١
نداء محمّد (ص) على الصّفا ٨٢
ردود الفعل لنداء النبيّ (ص) ٨٣
قريش تقدّم الشكوى لأبي طالب ٨٤
قريش تحاول اغراء النبيّ (ص) ٨٦
مشاكل الطّريق ٨٩
تعذيب قريش ٩٠
الضّغوط الاقتصادية ٩٤
الحرب النفسيّة ٩٤
التعذيب الجسدي ٩٤
هجرة النبيّ محمّد (ص) ٩٧
الهجرة من أجل الهدف ٩٨
يثرب ٩٩
المؤامرة ١٠٠

الإخلاص والفداء ١٠١
إلى غار ثور..... ١٠١
إلى يثرب..... ١٠٢
يثرب تنتظر ١٠٤
درس من الهجرة..... ١٠٥
أطروحة الأخوّة الإسلاميّة ١٠٧
المجتمع الفاضل..... ١٠٨
ابتكار في ميدان الاخوّة ١٠٩
الأخوّة الإسلاميّة في عصرنا الحاضر..... ١١٢
الجهاد في الإسلام..... ١١٥
نبّي الرّحمة..... ١١٦
أهداف الجهاد..... ١١٧
ما أجمل كلام الله ١١٩
هل انتشر الإسلام بالسيف..... ١٢٠
دوافع حروب النبيّ وإحصاء القتلى فيها ١٢٥
إيديولوجيّة التفاهم الدّولي..... ١٢٦
حرب بدر..... ١٢٧
حرب أحد والأحزاب ١٢٩
بنو قريظة ١٣٠
حرب بنى المصطلق، خيبر ومؤتة ١٣١
فتح مكّة..... ١٣٢
حنين – هوازن ١٣٣

عدد القتلى ١٣٥
عالميّة الإسلام ١٣٧
الإسلام دين الشرق والغرب ١٣٨
من مكّة دعى النبيّ العالم ١٣٩
شاهد آخر على عالميّة الإسلام ١٤٠
وظيفتنا في تبليغ الإسلام ١٤٣
محمّد (ص) خاتم الأنبياء ١٤٥
خلود الإسلام ١٤٦
الخاتميّة في القرآن ١٥٠
الخاتميّة في الأحاديث ١٥١
حديث الغدير وخلافة النبيّ ١٥٣
واقعة غدير خم ١٥٤
رواة حديث الغدير ١٥٩
معنى الحديث ١٦٠
أخلاق محمّد (ص) ١٦٣
حاجة المجتمع إلى الأخلاق ١٦٤
محمّد (ص) بين النّاس ١٦٦
تسامحه وعفوه ١٦٩
نظافته وطهارته ١٧٠
عبادته وزهده ١٧١
مسألة الخلافة وخلافة النبيّ ١٧٣
الحاجة إلى القيادة ١٧٤

هل عين النبيّ الأكرم خليفة؟ ١٧٨
الشورى في الخلافة ١٨٠
نظرة سريعة لمسيرة الخلافة ١٨٣
السقيفة و ما جرى فيها ١٨٦
سؤال ١٩٠
الجواب ١٩١

7340

قیمت ۱۲۰ ریال

از انتشارات

مؤسسهٔ در راه حق

قم ـ صندوق پستی ۵ و ۱۳

Princeton University Library
32101 055381766